السنة الثانية والعشرون العدد ٤ نيسان ١٩٢٤

المشرق

نصير الكنيسة والدين

الطوبوي الكردينال روبرتس بلرمين

لمحة تاريخيّة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

قد أقامت مدرستنا الكليّة في هذه المدّة الاخيرة اعيادًا حافلة دامت ثلثة أيام بنسبة تطويب وليّ الله وسليل الرهبانيّة اليسوعيّة السعيد الذكر الكردينال روبرتس بلّرمين. فظهرت وَحدة الكنيسة الكاثوليكيّة برونقها وبهائها مع اختلاف طقوسها الجليلة ورُتبها الشائقة وتحقّقت فيها آية النبيّ داود القائل عنها (مز ٤٤: ١٢) أنها الملكة التي زُفّت الى عريسها الالهيّ موشّاةً بمختلف الرياش الثمينة . وقد تجارى فرسان البلاغة في منابر الحقّ لإطراء ذلك الرجل العظيم الذي شرّف عصرهُ بعلومهِ وفضائلهِ فعرف جمهور السامعين ما كان لهُ في حياتهِ من المقام الرفيع والمنزلة السامية في كنيسة الله وفي أعين معاصريهِ ثمَّ ما شرَّفهُ بهِ عزَّ وجلَّ من الكرامات والمعجزات بعد وفاتهِ

*

قد سبقت لنا في المشرق (١٩ [١٩٢١]: ٥٧٥-٥٧٩) خلاصة ترجمة هذا الرجل المفضال فنُحيل القرّاء الى مراجعتها كما أنّنا اثبتنا في العام الماضي (٢١ [١٩٢٣]: ٤٠١-٤٠٧) حكم الكرسيّ الرسوليّ في سموّ فضائلهِ ونَظم اسمهِ في سلك الطوباويين الابرار . واليوم نقتصر على وصف ما قام بهِ ذاك الجهبذ الهمام كمحامٍ للكنيسة ونصير للتعاليم الكاثوليكيّة

لمَّا انضوى بلرمينوس الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة سنة ١٥٦٠ وعمرهُ لا يتجاوز الثماني عشرة سنة كانت الكنيسة هدفاً لسهام اعدائها. فكان لوثاروس (✝ ١٥٤٦) أضرم بسعير ثورتهِ قسماً كبيراً من المانية ونفث كلوينوس (✝ ١٥٦٤) سموم بدعتهِ في ضواحي فرنسة وفي سويسرة وناشبَ هنريكس الثامن (✝ ١٥٤٧) الحرب على الكثلكة فسفك دماء الوف من أنصارها وكلُّهم على اختلاف نزعاتهم يتَّفقون في محاولة دكِّ اساس الكنيسة وثلّ العرش البابوي. فارسل الله عضداً لبيعتهِ القديس اغناطيوس دي لويولا وفرقتهُ التي جعلت دينها وديدنها الدفاع عن الصخرة البطرسيَّة الموعودة بالثبات على كلّ قوّات الجحيم

وما كان بلرمينوس الَّا احد افراد ذلك الجيش المنظَّم بيد انهُ من فرسانهِ الابطال تجنَّد فيهِ اربع سنين بعد وفاة قائدهِ فكأنَّهُ ورث روحهُ الباسلة وتحفَّز مثلهُ لردّ هجمات المعادين وكسر شوكة المبتدعين فجاء سلفاً اسمهُ روبرتس اي الشديد القويّ منبئاً عن اعمالهِ. فما كاد ينتهي من دروسهِ اللاهوتيَّة وهو لم يتَّسم بعد بسمة الكهنوت حتى عرف الرؤساء ما خوَّلهُ الله من توقُّد الذهن وشدَّة العارضة ومعرفة آداب الجدال ليُفحم بأجلى البراهين ذوي الشقشقة المموَّهة والسَّفسطة الباطلة .

بلرمينوس في لوفان (١٥٦٩—١٥٧٦)

كانت بلجكة لوقوعها في حدود البلاد النازعة الى البروتستانيَّة معرَّضةً لغارات اهل البدع. فأرسل الطوباويّ الى عاصمتها لوفان ليذود عن حياض التعاليم الكاثوليكيَّة. وكانت جامعة لوفان قد شربت شيئاً من ضلال كبير زعمائها المدعوّ ميشال بأيوس الذي ضربت الكنيسة تعاليمهُ بالحرم اذ خلط بين خواص الطبيعة البشريَّة والنعمة الالهيَّة الفائقة الطبيعة فجدَّد بدعة بيلاجيوس ومهَّد الطريق لاضاليل جنسانيوس. فلمَّا جلس بلرمينوس على كرسي التعليم بازائهِ في مدرسة الآباء اليسوعيين نظر اليهِ انصار بأيوس بعين الازدراء والتحقير وهو شابٌّ ضئيل البنية نحيف الجسم. الَّا انهُ بعد أيام قليلة شاع في المدينة فضلهُ فتقاطر الدارسون لاستماعهِ فوجدوهُ جامعاً بين العلم الواسع والتواضع التامّ ودماثة الاخلاق فأُعجبوا بهِ وشهروا بين اقرانهم جليل مناقبهِ. بل بلغ امرهُ مسامع انصار البدع البروتستانيَّة في بريطانية العظمى وهولندة وفرنسة

فقصدوا لوفان لحضور دروسهِ ثم عادوا الى بلادهم وهم لسان واحد في الثناء على سعة معارفهِ وصحّة براهينهِ وكثيرون منهم الذين كانوا يطلبون الحقّ بنزاهة واستقامة ارتدُّوا على يدهِ الى حجر الكنيسة الكاثوليكيَّة . ومما أكسب لهُ قلوب المشايعين لبائيوس والمتصرين لاضاليلهِ انَّ بلرمينوس كان يأنف عن كلّ ما يمسّ كرامة الاشخاص وانَّما كان يكتفي بتفنيد مزاعمهم الباطلة وبتأييد تعاليم الكنيسة الكاثوليكيَّة متتبعاً سلسلة عقائدها جيلًا فجيلًا الى ان يبلغ الى عهد الرسل تلامذة المسيح فينجلي لهم الحقّ باتصالهِ الى معينهِ وينبوعهِ الاصلي

وكان الطوبويّ مع قيامهِ بوظيفة التعليم يخطب في أيام الآحاد والاعياد لجمهور المؤمنين المتزاحمين في كنيسة الدير لاستماع كلام الله فيزدادون حماساً في دينهم

بلرمينوس في الكليَّة الرومانيَّة (١٥٧٦–١٥٨٨)

سبع سنين قضاها بلرمينوس في تلك الاشغال الشاغلة التي كان نطاقها يتَّسع كل يوم فيزيد عبئها على عاتقهِ حتى انهكت قواه وخاف الرؤساء على حياتهِ فاستدعاهُ الرئيس العام الى رومية فأنعشهُ هواء الوطن ورأى نفسهُ مستعدَّةً لأداء خدم جديدة للكنيسة .

وكان ارباب مدارس فرنسة وايطالية تلحُّ في الطلب لدى المراجع الرسميَّة لتُرسل اليها بلرمينوس لكن الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر ورئيسهُ العام الاب مركوريان اذ رأيا ما احرز لهُ استاذ لوفان من الشهرة بالدفاع عن عقائد الايمان بازاء المبتدعين اتفقا على فتح فرع جديد للتعليم في الكليَّة الرومانيَّة تُعهَد ادارتهُ الى بلرمينوس . فأُنشئ فيها مكتب خاصّ للجدليَّات يُفنَّد فيهِ رسمياً وعلى طريقة علميَّة كلُّ ما ابتدعهُ البروتستانت تضليلًا للعقول : فكان طلبة المدرسة الجرمانيَّة والمدرسة الانكليزيَّة الذين يتخرَّجون في رومية يحضرون تعليمهُ قبل رجوعهم الى اوطانهم ويأخذون عنهُ فنّ الجدال فيتمكَّنون من مناهضة المبتدعين في بلادهم . فصار لدروسهِ شهرةٌ طائرة بلغ صداها بعيداً فكان علماء المدينة والاجانب يتألَّبون ليشنفوا الآذان بحضور محاضراتهِ . فتقدَّم اليهِ الرؤساء ان يمثّل تلك الدروس للطبع فلبَّى الى دعوتهم . وطُبعت تلك المحاضرات في اربعة مجلَّدات ضخمة ضمَّنها من

الادلَّة الباهرة والحجج الراهنة ما ازال كلَّ الشُّبهات وقشع كلَّ الظلمات فانتشر ذلك التأليف في كلّ الانحاء. واحتار البروتستانت في امرهِ فعقدوا المجامع وشكّلوا اللجن ووعدوا بالمبالغ الوافرة كلَّ من يحاول نقض تلك البراهين وتزييف تلك التعاليم فضاقوا ذرعاً ولم تأتِ كتاباتهم المتعدّدة بشيء يضعف بيّنات ناصر الكنيسة فلم يجد المبتدعون للنجاة من تلك النبال الرشيقة الّا وسيلةً واحدةً بان يستمدُّوا من زعماء شيعهم امرًا لازباً تحت طائلة الموت بمنع الكتاب عن الدخول الى انحاء بلادهم. ولمَّا كان كلّ ممنوع متبوعاً تفنَّن الناس في الحصول على ذاك التأليف والتمعُّن في حقائقهِ فارتدَّ كثيرون الى ايمان اجدادهم بعد وقوعهم في أشراك البروتستانت حتى انَّ احد كبار الكتبيين في لندن صرَّح لدى بعض اصحابهِ بأنَّ مجادلات بلرمينوس اربحتهُ من المال ما لم يكسبهُ ببيع الالوف من المطبوعات

والحقّ يقال انَّ تلك المجادلات مع تقدُّم العلوم الدينيَّة في عهدنا لا تزال كاسلحةٍ يقصدها ارباب الدين فيأخذون منها عدَّتهم لمحاربة آل الضلال وقد تكرَّر طبعُها دفعاتٍ عديدة حتى في حياة مؤلّفها. فكان المبتدعون يطلقون على المتشبثين بتعاليم البيعة اسم «البلرمينيين» وكفى بهِ تنويهاً بعظم شرف كاتبها الذي اوضح كلَّ مادَّةٍ بادلَّة عقليَّة ونقليَّة يدركها بسهولةٍ العلماء والبسطاء الكبارُ والصغار فيزهق الباطل ويُحصحص الحقّ لكلّ من لا يكابرهُ. وممّا يدلُّ على حصافة عقلهِ وجودة نظرهِ انَّ كثيرًا من المطالب التي دافع عنها اثبتتها الكنيسة بعد ذلك ونظمتها بين عقائد الايمان كالحبل بالعذراء مريم بغير دنس الخطيئة الاصليَّة وعصمة الحبر الروماني عن الغلط في الايمان والآداب وسلطانهِ الروحي على الدول والممالك وغير ذلك

بلرمينوس وهنريكوس الرابع ملك فرنسة (١٥٨٩—١٥٩٠)

كان هنريكوس الرابع قبل ان يتبوأ سُدَّة الملك في فرنسة منتمياً الى الشيعة البروتستانيَّة. فسعى مدَّة عشرين سنة (١٥٦٩—١٥٩٠) الى الجلوس على عرش الدولة لولا العصبة الكاثوليكيَّة (la Ligue) التي تصدَّت لهُ وكان المنتمون اليهِ ينشرون في تلك الاثناء المنشورات المُغفلة ليدافعوا عنهُ باخسين حقوق الحبر الروماني. فوكَّل البابا سكستوس الخامس الى بلرمين ان يردَّ عليها ففعل وخدم الكثلكة في فرنسة

خدمة مشكورة: على انَّ هنريكوس الرابع لم ينتم عليهِ فعلهُ لما رأى من إنتصافهِ ونزاهتهِ ولما اختبرهُ من اعتدالهِ في باريس اذ قصدها رفيقاً للكردينال «غايتاني» سفير الحبر الاعظم الى هنريكوس الرابع كما انهُ شكرهُ كأحد المتوسطين للصلح بينهُ وبين الكرسي الرسولي ولتأييدهِ نهائياً كملك فرنسة الشرعي بعد ارتدادهِ الى الكثلكة

بلرمينوس والدولة البندقيَّة (١٩٠٦)

كما دافع بلرمينوس عن حقوق الكنيسة وهو راهب يسوعيّ كذلك اوقف نفسهُ للدفاع عنها بعد أن نصبهُ البابا اقليميس الثامن على الرغم منهُ كردينالاً (سنة ١٥٩٩) . فمن ذلك كتاباتهُ المفعمة حكمةً وصواباً على مدّعيات ارباب دولة البندقيَّة الذين سنُّوا اثناء السنة ١٦٠٥ سنناً جائرة لتذليل الاكليروس والغاء امتيازاتهِ فاستصفوا الاوقاف والقوا في السجن بعض الكهنة وحاكموهم حكماً مدنياً وحاولوا تذكية نفوسهم بمنشورات مخالفة لتعليم الكنيسة. فضرب البابا بولس الخامس بالحرم دولة البنادقة واجاب بلرمينوس على منشوراتهم كاشفاً القناع عن مزاعمها الباطلة وآرائها السفسطيَّة . فتنمّر البندقيُّون عليهِ غيظاً وطردوا من تخومهم الرهبان اليسوعيين انتقاماً منهُ . فامتعض لحكمهم الجائر كلّ ذوي الانصاف الى ان توسَّط في الامر الملك هنريكوس الرابع فأصلح ذات البين

بلرمينوس وملك انكلترة يعقوب الاوَّل (١٦٠٧-١٦٠٩)

واشهر من ذاك الردود دفاعُ بلرمينوس عن الكنيسة ضدّ ملك انكلترة يعقوب الاوَّل فانَّ هذا الملك كان اوَّلاً يتولَّى على اسكوتلندة وهو ابن ماري ستورات الملكة الكاثوليكيَّة التي قتلتها ظلماً الملكة اليصابات . فلمَّا دُعي ابنُها الى الملك على انكلترة أمَّل منهُ الكاثوليك خيراً لكنَّهُ لم يلبث ان خيَّب آمالهم وسار في ظلمهم على طريقة هنريكوس الثامن وابنتهِ اليصابات وكان يتظاهر بمجاملة الكرسي الرسوليّ مموِّهاً عليهِ وكتب لتذكية نفسهِ كتباً مُغفلة ملتبسة المعاني وفرض على الكاثوليك قسماً مخالفاً لدينهم وضميرهم . فقام بلرمينوس وزيَّف تلك الكتابات

وكشف عن خداع كاتبها المتستر تحت اسم مستعار ولما عاد الملك وصرح باسمهِ واستأنف الكتابة لتبرير اعماله اجابهُ بلرمينوس ونقض ما ادّعاهُ انفسهِ من الحقوق الدينيَّة في دولتهِ كما انهُ أبطل تعاليم البعض من حاشية بلاطهِ الذين انتصروا لهُ

بلرمينوس والاضاليل الغليكانيَّة (١٦١٠–١٦١٢)

كان ملوك اوربَّة في القرن السابع عشر لِما نالوا من السلطة المطلقة كثيرًا ما يُغالون في رفع منزلتهم فيحملهم الطمع لتأييدها على مظاهرة السلطة الكنسيَّة وبخس حقوقها الالهيَّة. فمن ذلك ما اشاعهُ في فرنسة بعض المتملّقين للسلطة المدنيَّة فعظَّموها حتى كادوا يرفعونها فوق السلطة الدينيَّة وهي النِحلة التي عُرفت مذ ذاك العهد بالنحلة الغليكانيَّة (Gallicanisme) لعبت في فرنسة نيّفًا ومئتي سنة دورًا سيئًا فلم تُستأصل جذورها الَّا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد اندفع بلرمينوس لتزييف حججها التي تضمَّنها كتابٌ طُبع سنة ١٦٠٩ في انكلترة وفرنسة فنفى تلك المزاعم بتأليف جليل اثنى عليهِ مرارًا الاحبار الرومانيُّون وانَّما امتعض منهُ انصار السلطة الملكيَّة فمنعوا نشرهُ طاقةَ جهدهم

خِدَم شتَّى أدَّاها بلرمينوس للكنيسة

لم يقتصر بلرمينوس خِدَمهُ للكنيسة على ما سبق ذكرهُ بل افرغ وسعهُ في خدمتها بأعمال أخرى لم تكن دون المذكورة نفعًا كان الطوبويّ يتفرَّغ لها في أيام العطلة السنويَّة. فمن ذلك ردُّهُ سنة ١٥٨٤ على «متَّى فلاك» اللوتراني بخصوص انشاء الحبر الرومانيّ للملكة الرومانيَّة المقدَّسة بعد ان نزعها من ايدي ملوك الروم الذين فشلوا في حمايتها وسلَّمها سنة ٨٠٠ لكرلوس الكبير وذلك بكلّ حقّ وصواب استنادًا الى السلطة التي نالها من الله

وفي السنة ١٥٨٥ نشر تفنيدًا لكتاب آخر ابرزهُ البروتستانت دعوهُ «الاتحاد» حاولوا فيهِ ان يوفّقوا بين شيعهم المختلفة فانتقد بلرمينوس ذلك التأليف وبيَّن ما يحتويهِ من الآراء الفاسدة المضادَّة لدستور ايمان الرسل وتعاليم الآباء حتى بلغ اضاليلهُ الى ما ينيف على السبعين ضلالًا

ومن تآليفهِ للدفاع عن المعتقدات الكاثوليكيَّة ضدَّ بعض تآليف اللوترانيين والكلفينيين كتاب في وجوب اكرام الصور المقدَّسة وكتابٌ في سلطان الاحبار الرومانيين في الامور الزمنيَّة

وهو مؤلف ذلك التعليم المسيحيّ المدرسيّ المطوَّل ثمَّ المختصر الذي شاع في معظم البلاد الكاثوليكيَّة ظهر السنة ١٥٩٨ باللغة الايطالية ثمَّ نُقل الى ٥٤ لغةً بينها العربيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة والارمنيَّة والعبرانيَّة والحبشيَّة والفارسيَّة الخ وقد تعدَّدت طبعاتهُ في كلّها فانَّ الترجمة العربيَّة وحدها تكرَّر طبعها عشرين مرَّةً في رومية وباريس وبلجكة والقدس الشريف وبيروت في مطبعتنا الكاثوليكية فافاد كثيرًا لتلقين الاحداث والشبَّان عقائد الدين القويم

وقد اشتغل بلرمينوس بتصحيح الترجمة اللاتينيَّة من الكتاب المقدَّس وعلَّق على طبعتهِ الرومانيَّة مقدَّمةً اوضح فيها بكل حشمةٍ شغلهُ

ومن تآليفهِ المهمَّة التي تشرَّفت بها الكنيسة شروحهُ لمزامير داود في مجلَّد كبير ومنهُ اقتطف الاب بطرس ارنودي المرسل اليسوعي تفاسيرهُ العربيَّة التي طُبعت في بيروت في ثلثة مجلَّدات في المطبعة المخلِّصيَّة

هذا ولا حاجة ان نسرد هنا اسماء بقيَّة تآليفهِ العلميَّة : كغراماطيقهِ للغة العبرانيَّة . واللاهوتيَّة كتأليفهِ في نعمة المسيح والتوفيق بينها وبين الحرّيَّة البشريَّة . والتاريخيَّة كتراجم الكتبة الكنسيّين . والخطيَّة كمواعظهِ وارشاداتهِ في بلجكة وايطالية . والروحيَّة كسُلَّم السعادتين وسبعة اقوال المسيح على الصليب وهما الكتابان اللذان عرَّبهما الطيب الذكر المطران غريغوريوس حجَّار رئيس اساقفة صيداء

فمن هذا النظر الاجمالي يتَّضح للقرَّاء ما قدَّمهُ ذاك الرجل فريد عصرهِ من الخدم للدين عمومًا وللكنيسة الكاثوليكيَّة خصوصًا فاستحقَّ ان يُعلن الحبر الاعظم غريغوريوس الخامس بمديحهِ في مجمع الكرادلة اذ نعى اليهم وفاتهُ قائلًا : «انَّ كنيسة الله قد فقدت بهِ رجلًا غايةً في الامتياز ولاهوتيًّا مبرِّزًا وحاميًا شجاعًا للايمان الكاثوليكي ومطرقةً للمبتدعين وكان مع ذالك متحليًا بكمال التقى والفطنة والتواضع والمحبة المسيحيَّة »

المجمع العلميّ العربيّ في دمشق

نظر وطني اجتماعيّ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

لم تتعرَّض حتى الآن مجلّةُ المشرق لذكر المجمع العلميّ العربيّ الـذي أُنشئ في دمشق قبل خمس سنين وليس ذلك جهلًا او تجاهلًا بخدمهِ الَّا انّنـا كنّا ننتظر ان ترسخ تلك الغرسة الجديدة في تربتها وتزكو اثارهـا لنُعمل فيها نظر الانتقـاد لئلَّا يُحمَل كلامنا على الهوس والمبالغة ولاسيما انَّ اعضاء ذاك المجمع الفضلاء نظموانا على غير استحقاق في سلك جمعيّتهم فينسب القرَّاء كلامنا الى غرض في النفس

أمَّا اليوم وقد ترعرع المولود ولم يعُد يُخاف عليهِ من طارئ يطرأ بوجدانهِ فلا بأس من وصف مآثرهِ وطيب جناه واجالة رائد الطرف في الطور الاوَّل من حياتهِ

*

واوَّل ما يعنُّ لنا في ذكر المجمع المومأ اليهِ استحساننا لاختيـار اعضائهِ دمشقَ الفيحاء لمركز مشروعاتهم ونشر ثمـار افكارهم. وكلٌّ يعلم ما للفيحـاء من المقام الرفيع في جانب الآداب العربيّة وذلك بموقعها الجغرافي ثمَّ بتأريخها واخيرًا بموقفهـا الحاليّ

أمَّا موقعها الجغرافيّ فانَّهُ احقّ من سواه لتأليف مجمع علميّ فان دمشق ليست فقط حاضرة الشام فانَّها ايضاً قلبُ العـالم العربيّ لتوسّطها بين الامم الناطقة بالضاد بعيدةً من رطانة الاتراك ومن عجميَّة العراق ومن وحشة جزيرة العرب قريبـةً من الاقطار الاوربيَّة بفرضتها بيروت منبسطةً بين جنّاتها الرائعة وانهارها الزاخرة توصلها خطوط سككها الحديديَّة بحواضر سوريَّة وفلسطين والاصقاع العربيَّة

أمَّا تاريخها فلا يجهلهُ صغير ولا كبير. فانَّ فيها قامت الـدولة الامويَّة فكانت في دمشق اوَّل نهضةٍ للآداب العربيَّة المنظَّمة ولم يُطمَس قطّ نورها مع علوّ منار بغداد ايَّام بني عبَّاس وكفى دليلًا على قولنا ما أُنشئ فيها من المدارس المتعدّدة ونبغ فيها من اماثل الادباء والفقهاء والخطباء والمؤرخين ممَّن يطول تعدادهم

وكذلك موقفها الحالي يجعلها اجدر من سواها لتعزيز العلوم العربيَّة وقد حفلت

فيها اسباب رقيّها بوفرة علمائها الناطقين بالضاد ومطابعها وصحفها ومنشوراتها العربيَّة وبمكاتبها العموميَّة والخصوصيَّة وبأبنيتها العربيَّة التاريخيَّة من جوامع ومساجد ورباطات وقصور وبمدارسها الوطنيَّة والاجنبيَّة وفيها مقام بطريركي الروم الكاثوليك والروم الاورثوذكس

وزد على ذلك تنشيط الدولة المنتدبة لكل المشروعات الادبيَّة وهي التي عزَّزت في بلادها الدروس العربيَّة وأحيت كثيراً من دفائنها وقد انشأت في دمشق متحفاً للآثار العربيَّة واقامت فيها مكاتب لتخريج التراجمة المدنيّين والعسكريين

فكان ذلك كلّهُ داعياً لتأليف مجمع علميّ عربيّ في دمشق فضلاً عن سواها

ومع حسن اختيار الموقع نجد في تأليف اعضاء المجمع داعياً آخر لنتوسّم فيه الخير فانَّهُ يرأسهُ رجلٌ امتاز بمعارفهِ الواسعة ومنشوراتهِ المتعدّدة ألا وهو السيد محمد كرد عليّ الذي تخرَّج على الآداب العصريَّة ونال حظّاً من اللغات الاجنبيَّة واختلط في الحلّ والترحال بالاتراك والفرنسويين والالمان وتجوَّل في بلادهم وعاين معاهدهم العلميَّة والفنيَّة واجتمع بأعيانهم فكان ترشيحهُ لرئاسة المجمع العلميّ العربيّ ثقةً بخبرتهِ فأُسندت اليهِ تلك المهمَّة رجاء ان يقوم بواجباتها مع ما خوَّلهُ الله من سعة النظر والنشاط في العمل

وكذلك اعضاء المجمع العلميّ فان في اختلاف عناصرهم من وطنيين واجانب وفي تباين اديانهم من مسلمين ونصارى وموسويين وفي امتياز مناصبهم من ارباب دنيا ودين ضامناً لثبات هذا الصرح العلميّ ورقيّهِ فضلاً عمَّا يستدعي ذلك من نشر الكتابات في علوم شتى والابحاث في المعارف المتشكلة الّا السياسيّات والمجادلات ما ينجم عنها من المناقشات والمنازعات وتفريق الكلمة

وازداد المجمع المذكور ثباتاً (كما جاء في لائحة المجمع لسنتهِ الخامسة) بالحاقهِ مؤخَّراً برئاسة الاتحاد السوري السامية التي عُهدت الى أحد نجباء تلامذة كليَّتنا البيروتيَّة صاحب الفخامة السيد صبحي بك بركات الخالدي «فضُمنت للمجمع حياتهُ وكانت كلّ حين مهدَّدة بالقضاء عليها لأغراض شخصيَّة طُبعت عليها لا تهمّ حتى لمشخّصاتها ومقوّماتها» (نصّ اللائحة) . فقرَّرت لجنة المعارف تأسيس «الجامعة السوريَّة» مؤلَّفة من المجمع العلمي ومعهدَي الطبّ والحقوق فوافق على الامر فخامة

الجنرال ڤيغان المفوّض السامي للجمهوريَّة الفرنسويَّة

وقد عرفت الحكومة ما يُبنى على المجمع من الآمال الطيّبة اذ جعلت دار الكتب العربيَّة (مكتبة الملك الظاهر) تحت ادارته فوسّعها ونظّم شؤونها حتى ضاقت اليوم بمحتوياتها فلابُدَّ من نقلها الى مكان اوسع ارجاء واتمّ اهبةً. وكذلك خصّ بالمجمع المدرسة العادليَّة المنسوبة الى الملك العادل اخي السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي لقربها من دار الكتب لكي تُعقد فيها جلسات المجمع وتُقام في احدى ردهاتها الحفلات الادبيَّة كالخطب والمحاضرات والقاء الدروس الليليَّة. وفي بعض غُرف المدرسة عينها عُرضت الآثار القديمة المكتشفة في دمشق وغيرها من انحاء الشام كحوران وتدمر بينها الدُمى والتماثيل الحجريَّة والاواني المعدنيَّة والزجاجيَّة والخزفيَّة والنقود القديمة والاسلحة. فصار المقام متحفاً يقصده الزوّار والسيّاح ويثنون بسببه على المجمع العلميّ وآله

ولمّا كان للمجامع العلميَّة لسان حال ينشر اعمالها ويصف مآثرها ويدوّن ما يأتيها من المراسلات في مواضيع العلوم والفنون مع ما يُلقى فيها من المحاضرات رأى المجمع العلميّ العربيّ ان يُصدر لهُ مجلّةً تنطق بأجريّاته وتُثبت مكتشفاته ومقترحاته

وفي اوائل السنة الحاضرة دخلت المجلّة في سنتها الرابعة وقد اطّلعنا على مضامينها فاذا هي تستغرق نحو ١٢٠٠ صفحة والغالب عليها اللغة والمواضيع اللسانيَّة والآثار الخطّيَّة التاريخيَّة والادبيَّة ووصف البلدان. ومن انفس ما وصفهُ هناك السيد سعيد افندي الكرمي (١ : ٣٢) كتاب الملاحة «المعنون بكتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد» لابن ماجد من اعيان القرن التاسع للهجرة دخل منهُ نسخة خطّيَّة في مكتبة الملك الظاهر. وهذا الكتاب قد باشر المسيو غبريال فرّان (G. Ferrand) بنشره في باريس بالطبع الشمسيّ. وقد ظهر منهُ عدَّة اقسام وسيلحقهُ متولّي نشره بترجمته الى الافرنسيَّة ويذيّلهُ بالملحوظات المهمّة كما افاد في المجلّة (١ : ٢٨١) الاستاذ بولس الخولي

ومن وصف الكرميّ (١ : ٦٥) كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي المتوفّى سنة ١٠٨٩ ﻫ (١٦٧٨ م) ذكر فيه منذ اوائل الهجرة مشاهير المتوفّين سنة فسنة مع معلومات اخرى عديدة

ولأديب العراق محمود افندي شكري الالوسي (١ : ٧٧ و١١٠) رسالة في الالوان علّق فيها شروحاً على قصيدة للشيخ علي بن الفز الحنفي الشهير بالشارح الجارح. كما انهُ شرح منظومة عمود النسب التي وضعها الشيخ احمد الشنقيطي (٣ : ١٠٥)

ووصف السيد عبد القادر المغربي كتاب تهذيب اللغة للازهري (١ : ٢٧١) وهو من أمتع كتب اللغة كنّا اطّلعنا في حلب على نسخته المحفوظة في المكتبة الاحمديّة وقد نشر منهُ قسماً صغيرًا المستشرق الاسوجي زترستين — وللسيد المغربي ايضاً وصفٌ حسن لكتاب تاريخ حكماء الاسلام البيهقي وانتقادهُ لهُ بانصاف (٢ : ١٩٣)- ونشر صديقنا الكاتب الضليع عيسى افندي اسكندر المعلوف رسالة تدبير المنزل المنسوبة لأرسطو الفيلسوف عن مجموعة قديمة من خزانة كتبهِ

ومن المخطوطات النادرة التي نُشر قسمٌ منها كتاب الازمنة لقطرب (٢ : ٣٣ و ٩٥) والكتاب قد دخل بعد ذلك في مكتبتنا الشرقيّة وهو طويل لعلّنا ننشرهُ بتمامهِ

واثبت جناب احمد باشا تيمور (٢ : ٧٣) لمعةً من احد كتب مكتبتهِ الغنيّة بالنوادر الذي عنوانهُ «الاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ» لاحد مشاهير الكتبة الشيخ السخاوي المتوفّى سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٦ م)

وقد ذكرنا الفصلُ المنشور (٢ : ٢٣٦) من «كتاب الانصاف والتحرّي عن دفع الظلم والتجرّي عن ابي العلاء المعرّي» لابن العديم الحلبي المتوفّى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م) بما كتبناهُ في المشرق (٤ [١٩٠١] : ١٠٦٨) تحت عنوان : «تبرئة ابي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء»

ومن نوادر الكتب الموصوفة هناك (٣ : ٢) كتاب بستان الاطباء وروضة الالبّاء لموفّق الدين اسعد المعروف بابن مطران الدمشقي المتوفّى سنة ٥٨٧ (١١٩١ م) وقف على عدّة كراريس منهُ السيد محمّد رضى الشبيبي. وهو سفر جليل يتضمّن عدّة معلومات عن اخبار الاطباء القدماء. وقد نقل منهُ قطعاً ابن ابي اصيبعة في كتابهِ عيون الانباء في اخبار الاطباء — ومثلهُ شأناً وصفهُ المجلّدين من تاريخ بغداد لابي بكر الخطيب البغدادي (٣ : ١٢٩ و١٦١ و٢٦٠)

وممّا استفدنا من تعريفهِ ذخائرُ القصر في تراجم نبلاء العصر لابن طولون الحنفي

المتوفى سنة ٨٨٠هـ (١٤٧٥م) وصفهُ الكاتب البارع عيسى افندي اسكندر المعلوف (٣٣:٣) ونقل عنهُ نبذاً حسنة — ووصف السيد كرد علي كتاب الباشات والقضاة لمحمد بن جمعة الشاذلي (٧٢:٣)وروى منهُ شذرات عن نسختي برلين ومونيخ — واحسنَ ايضاً بوصف كتاب آخر من مخطوطات برلين وهو كتاب الاعيان للشيخ حسن البوريني الشاميّ المتوفى سنة ١٠٢٤ هـ (١٦١٥م)

تلك مآثر قديمة تولَّى اعضاء المجمع وصفها بعد احيائها فافادوا واجادوا

وفي مجلتهم الابحاث اللغويَّة المعتبرة كعثرات الاقلام والإعلام بمعاني الاعلام وتفسير الالفاظ العباسيَّة في نشوار المحاضرة واللغة والدخيل فيها وخواطر في المعرَّبات على الرغم مما ورد فيها من التعسُّف الظاهر

ومن المقالات التاريخيَّة والجغرافيَّة والاثريَّة الممتعة جباية الشام في الاسلام وحقائق تاريخيَّة عن دمشق وحضارتها والمجامع العلميَّة في العالم وغابر الاندلس وحاضرها لولا بعض الشطط فيها . وكذلك آثار دمشق والآثار الشرقيَّة القديمة ووصف بعض المكاتب العموميَّة والخاصَّة فكلّ ذلك مما يسطّر للمجمع العلميّ الدمشقي تاريخاً جليلاً يخلّد ذكر اهلهِ

وقد سُررنا غاية السرور بما لقيَت اعمالهم من الاستحسان لدى المستشرقين وفي اقوالهم شاهد على حسن خطتهم فيهِ تنشيط يبعث همَّتهم لمواصلة العمل وزيادة تحسينهِ صورةً ومعنًى . وقد نال البعض منهم من كرم الدولة المنتدبة الاوسمة الشرفيَّة الدالَّة على ارتياحها الى مساعيهم وتقديرها لفضلهم

وفي الختام اننا نتمنى ان تكون هذه المجلَّة كأشباهها في الحواضر الاجنبيَّة بحسن انتقاد موادّها وبالتحقيق والتدقيق في بسط مضموناتها . ومما نلفت اليهِ نظر اربابها إحكام طَبع الالفاظ الاعجميَّة الفرنسويَّة والالمانيَّة والانكليزيَّة التي كثرت في رصفها الاغلاط مع قلَّتها فينبو عنها نظرُ الاجانب وما الكمال الَّا لله

اسبوع الآلام المقدس

في الكنيستين السريانية والمارونية

بقلم الاديب يوسف افندي المدوّر

ان الكنيسة المقدسة تدعو الاسبوع الاخير من الصوم باسبوع الآلام ذكرًا لآلام وموت سيدنا يسوع المسيح. وفيه تقيم احتفالات شتى ، منها ما يمثل اعمال مخلصنا له المجد ومنها ما يذكر بذلك سرّ الفداء الثمين ، فاحببتُ ان اتحف قرّاء المشرق المنير بكلمة آتي فيها على ذكر ما يقام من تلك الحفلات عادةً في الكنيستين السريانيّة والمارونية اللتين وان اختلفتا لقباً فهما متّحدتان على وجه التقريب في الطقوس والرتب وكلتاهما تستعمل اللغة السريانيّة مع ترجمة بعض آثارهما الى العربية. فاقول وبالفادي الكريم استعين

١ هيئة الهياكل

اذا دخلتَ ايها القارئ الكريم كنيسةً مارونية او سريانية كاثوليكية يوم احد الشعانين مساء رأيت الهياكل مجلّلةً بشارات الحداد والصور والتماثيل مغشّاةً بالستائر السوداء. تلك هي عادة الكنيسة الشرقية بخلاف الكنيسة الغربية التي تستعمل اللون البنفسجي . اما الهيكل الكبير فانهم ينشرون امامهُ ستارًا كبيرًا يستر الحنيَّة العليا وينحدر حتى يغطّي المائدة المقدسة ، مرسوماً في وسطهِ الصليب الخلاصي تحيط بهِ رسوم الآلات التي استُعملت لتعذيب الفادي الالهي ، كالمجالد والحربة والقصبة في رأسها الاسفنجة والمسامير الثلاثة واكليل الشوك والمطرقة والكفّ التي لطمت الوجه الالهي . او ممَّا لهُ تعلّق بالآلام كالسلّم الذي صُعد عليهِ لتنزيل جثمان المخلص لهُ المجد. والكلبتين (الكمّاشة) اللتين اتّخذتا لقلع مسامير اليدين والرجلين . وزهر النرد الدالّ على قول النبيّ : « اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي اقترعوا». وكالطست والابريق الدالّين على غسل بيلاطس يديهِ حين قال: «اني بريء من دم هذا الصدّيق» او انهما يشيران الى غسل السيد المسيح لأقدام تلاميذه بعد العشاء السرّي قبل آلامهِ

وعلى هذا الستار يشاهَدُ رسم الديك الذي صاح حين انكر بطرس سيدهُ وكان صوتـهُ باعثاً لتوبة زعيم الرسل وبكائه على إثمـهِ البكاء المرّ . والشمس والقمر اللـذان شملها الكسوف والخسوف حين أسلم ابن الله المتأنس روحهُ معلّقاً على الخشبة . وتحت صورة الصليب يشاهد الناظر جمجمةً يكتنفها عظمان ، هي جمجمة آدم ابي البشر الذي افتُدي وذرّيتهُ بصلب السيد المسيح وموته ، ويقـال انها رمز للتقليد القائل بان صليب المسيح رُكِز فوق قبر آدم

وبعضهم يرسمون حيّة في فمها تفّاحة رمزًا للحية التي بها طغى الشيطان امّنـا حواء وحملها على معصيةِ الخالق بأكلها من الثمر المحرّم المرموز عنه بالتفّاحة . وبعضهم يرسمون المشاعل والمصابيح التي حملها الجند لمّا جاؤوا ليقبضوا على يسوع والحبال التي ربطوهُ بها ، ومجامر البخور الخ الخ

٢ الرتب والطقوس

تبدأ الكنيستان المارونية والسريانية بتلاوة صلوات اسبوع الآلام من بعـد ظهر احد الشعانين ، فالسريان يقيمون بعد غروب الشمس رتبةً يدعونهـا « هجمة العذارى » ذكرًا لمثل العذارى الحكيمات والجاهلات الذي اورده السيد المسيح تشبيهاً لملكوت السماوات . امّا قِوام هذه الرتبة فهو انهم يشرعون اولًا بتلاوة صلاة مساء الاثنين في كتاب فروض اسبوع الآلام وهو غير الفرض اليومي وبعدهـا يبدأون برتبة الهجمة حتى اذا وصلوا الى نقطة معيَّنـة خرجوا بزياح حاملين بايديهم الشموع مرتلين تراتيل ذات انغام محزنة دالّة على التوبة والندامة فيدورون اولًا في صحن الكنيسة دورتين وفي الثالثة يخرجون من بابٍ جنوبي او شمالي وقبـل ان يبلغوا الى الباب النصفي يكون واهفُ الكنيسة قد سبق وأوصده ووقف وراءهُ . وعندما يبلغ اليه السائرون بالطواف ينقسمون فرقتين يميناً وشمالًا ثم يتقـدّم الرئيس ويجثو على ركبتيه امام الباب . وان كان حبرًا فينزع التاج من على رأسهِ ويقول بالسريانية بنغم شجي مستطيل : « افتح لي باب مراحمك » مكررًا كلامـهُ ثلاثاً وفي كل مرة يقرع الباب بصليب صغير وبعد المرة الثالثة يفتح الواهف الباب فينهض الرئيس ويدخل امام الشمامسة فالكهنة حسب الترتيب السابق الى امام المذبح حيث يتلون صـلاة

الرتبة ثم يمنح الرئيس البركة للحاضرين بعود الصليب الكريم فينصرفون

أمّا الموارنة فلا يعملون هذه رتبة هجمة العذارى . الّا انهم يبدأون باقامة صلوات الحاش (لفظة سريانية تأويلها الآلام) من هذه الليلة ايضاً. فيُطلبون كلمة: «هلّلويا» التي معناها التهليل والفرح، وحيثما تلزم لقيام النغم والوزن يستبدلونها بلفظة: ܡܪܝܐ ܐܬܪܚܡ (يا رب ارحم). اما ألحان صلوات هذه السبّة فتقال «مشحلفة» اي مغيّرة بألحان محزنة. وينقطع الشمامسة عن قولهم ܒܪܟܡܪܝ او (بارك يا سيّد) في بداية ونهاية القطع الفردية والقراءات من العهد القديم واخبار الرسل ورسائل مار بولس وذلك من امارات الحزن الواجب في هذا الاسبوع

أمّا صلوات فرائض الآلام فلا فرق كبير بينهما في الكنيستين . وهي تُقسم هكذا: صلاة المساء وتقال قبل غروب الشمس وتختصّ باليوم التالي اي انهم يصلّون قبل غروب شمس احد الشعانين صلاة مساء الاثنين. وبعدها صلاة الستار (ܣܘܬܪܐ) تقال بعد صلاة المساء عند الغروب. وكانوا في القديم ايام ازدهار اللغة السريانية يصلّون هاتين الصلاتين متتابعتين وينشدون بعدهما طلبة الآلام ثم يتفرقون على وعد الاجتماع بعد غياب الشمس بساعة او بساعتين لاقامة صلاة الليل. وهذه مؤلفة من اربعة اجزاء يدعونها قومات (ܩܘܡܐ) . فالثلاث قومات الاولى تشتمل كل منها على خطبة يقال لها: «حِسَّاية» اي الاستغفار ينشدها مَن كان جيّد الصوت يتبعها لحنٌ من الحان مار يعقوب او مار افرام ذو خمسة او ستة ابيات . اما القومة الرابعة فيبدأ بها بصلاة فردية يتلوها الرئيس واخرى يتلوها احد القارئين . ثم تتبعهما «تسبحة الاطفال» التي بدؤها «باركوا الربّ يا جميع مصنوعات الرب» مقسّمة على عدد ابيات اللحن التابع الذي يُقال ما بين جوقين. حتى اذا انتهوا منهما يواصلون انشاد انشودة أخرى مخالفة للوزن المتقدم تُدعى «سوغيت» (ܣܘܓܝܬܐ) وقد يكون كل بيت من ابيات هذه الانشودة مبدوءاً بحرف من الحروف الابجدية السريانية حسب ترتيبها . فاذا تمت شرع احدهم بتجويد الحسّاية تجويداً شجياً وغالباً ما تكون باللغة العربية ليفهمها الشعب

وفي ابان ذلك يضع الرئيس او احد الكهنة بخوراً ويبخر المذابح والشعب، وكان قديماً ينزل في صحن الكنيسة مبخراً الشعب يميناً وشمالاً كما هو جارٍ في الكنيسة

اليونانية فأبطلت هذه العادة وصار الكاهن يقتصر على التبخير من وراء الدرابزين في الخورس. وبعد ذلك يقرأون فصلاً من السنكسار اي اخبار الآباء وشذرة من اعمال السيد المسيح وثلاث شذرات من التوراة يسمونها قراءات. وفي غير هذه السبة يبدأ القارئ قائلاً: بارك يا سيد ويختم كذلك كل مقالة فيرفع الرئيس يده ويرسمهُ باشارة الصليب. اما في اسبوع الآلام فلا يستمدُّون البركة وذلك كما ذكرنا آنفاً من امارات الحزن. ثم يقرأون فصلاً من اعمال الرسل وفصلاً من رسالة القديس بولس حتى اذا انتهى القارئ هتف الشمامسة بتلحين آيةً من مزامير داود او من اقوال الانبياء مقدمةً لفصل الانجيل الشريف فاتحين قولهم وخاتمينهُ بلفظتي: «هِمْ هِمْ» بدلاً من هليلويا فينتصب الرئيس ويتلو فصلاً من الانجيل

وعندما ينتهي منه ينزل فيقف عند الدرجة السفلى والكهنة من عن يمينه والشمامسة من عن يساره فيعملون رتبة السجدة لصورة المصلوب المصمود على المذبح وهو مغشًّى بالسواد مترنمين ما بين جوقين بالمزمور ١٤٨ الذي اوله: «سبحوا الرب من السماوات» وبعده المزموران ١٤٩ و ١٥٠ وفي آخر كل جزء يقولون «ولك يحق المجد يا الله» ويسجدون مقبّلين الارض. فاذا أتموا السجدة عادوا فكمّلوا صلاة الليل قائلين انشودةً من مار يعقوب واخرى من مار افرام. فالاولى يختمونها: «ايها اليهود هوذا يُترك لكم بيتكم خراباً (متى ٢٣: ٣٨)، فلا حبر ولا ملك ولا نبي... !» والثانية يختمونها بما معناه: «قالت البيعة للمسيح اني اذهب معك يا ديان الاحياء والاموات. وعندما تدين انت الشعب اللعين فلا تحكم عليَّ بحكمك الرهيب» ثم يتبعونها بانشودة الختام (المدراش ܚܘܬܡܐ) ولها اوزان والحان مختلفة. فاذا تمّت صلاة الليل فعند الموارنة تمنح البركة بالصليب المقدس، وهي رتبة مؤثرة تهيب بالقلب الى الخشوع

هكذا كانوا يصنعون في القديم أيام لم يكن للضجر والملل منفذ الى القلوب وكانت اللغة السريانية زاهرةً ولاسيما في جبل لبنان. اما في هذه الايام فحبًّا بالاختصار ولكيلا يتطرأ الضجر الى قلوب الحاضرين امسى كثيرون يبدلون صلاة الليل بصلاة الستار التي هي اقصر الصلوات ولا يقيمون رتبة السجدة للصليب مع ما فيها من الخشوع وما تستدعي من التأثر. وبعضهم يقولون من صلاة الليل القومة الرابعة اي

الاخيرة ليختموها بالسجدة للصليب ضاربين صفحاً عن الثلاث قومات الاولى . ذلك ما يُصنع في كلّ ليلة حتى ليل السبت العظيم . وفي الصباح كانوا يصلّون صلاة الصبح المؤلفة من ٧ الحان بين كل منها وآخر ابتهال وجيز يتلوه احد القارئين بالعربية وبعدها سوغيت ثم حِسَّاية وثلاث قراءات من العهد القديم وفصل من اعمال الرسل ومن رسالة مار بولس ثمَّ الانجيل . ويختمون الصلاة بانشودة مار يعقوب او مار افرام . وكانوا عند الضُحى او منتصف النهار يصلّون الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة ولكن قلّ مَن يقيم هذه الصلوات في هذا العصر الذي كثرت فيهِ الاعمال الدنيوية فشغلت معظم اوقات الناس ، الّا في بعض الاديار والمدارس الاكليريكية العامرة حيث لا شاغل يشغلهم عن إقامة الحفلات والرتب في اوقاتها

وفي بعض الجهات جرت عادة الكنيسة المارونية على عمل رتبة القنديل (١ يوم الاربعاء الذي فيهِ تذكار ايوب الصدّيق . فبعد صلاة الليل يتّجه الرئيس والكهنة والشمامسة الى امام المذبح الكبير حيث يكون وضع القندلفت مائدة صغيرة عليها طبقٌ فيه سبع فتائل مغموسة بالزيت رمزًا للسُرج السبعة التي رآها زكريا النبي ويوحنا في جليانهِ . والرتبة مقسّمة الى ٧ اجزاء كل منها يشتمل على انشودة وصلاة وفصل من الرسائل وشذرة من الانجيل . فيبارك الرئيسُ اولًا الزيت ثم يبتدئون بالرتبة وكلما انتهوا من قسم شعلوا فتيلةً من الفتائل السبع واخيرًا يتقدم الشعب فردًا فردًا حاسرين عن رؤوسهم فيدهن الرئيس جباههم بذلك الزيت قائلًا : «ليكن لغفران خطاياك ولمحو ذنوبك ولصحّة نفسك وجسمك» . والفائدة من هذه رتبة القنديل انما هي «التوسل إليه تعالى ان يقبل توبة التائبين ويمنح المرضى الصحة» (كتاب توزيع الاسرار عند الموارنة)

٣ خميس الاسرار

كلٌّ يعلم ان في مثل هذا اليوم رسم المخلّص لهُ المجد سرَّ القربان الاقدس في العشاء السرّي الذي تناولهُ مع تلاميذه الاثني عشر في علّيّة صهيون . فتذكارًا لهذا الحادث العظيم يقيم السريان في صباح الخميس قداسًا كبيرًا يشترك فيه كهنة الكنيسة

١) هذه الرتبة جارية ايضًا في اواسط الصوم عند السريان

اجمعهم تمثيلاً باشتراك السيد المسيح مع تلاميذهِ بأكل خروف الفصح ، وعليه فلا يكون هناك سوى قداس واحد عام . فالداخل الى كنيسة السريان يرى في وسط الكنيسة منصّةً مرتفعة وُضع عليها مائدة مستطيلة مفروشة مزيَّنة تكفي لان يقف حولها كل كهنة الكنيسة ويحضرون على المائدة آنية التقديس لكل كاهن . وفي الرأس المقابل لجهة الشعب صليب حوله الشموع وبعض الازهار . فاذا حان وقت القداس ارتدى الكهنة ملابسهم الكنسيَّة في خزانة الكنيسة واماَّ الرئيس فان كان حبراً فهو يلبس ملابس التقديس على احد المذابح وحينئذٍ لا يرتدي الكهنة الوشاح الفوقي (الفدَّارة) بل يحمل كل منهم وشاحهُ على زندهِ ويأتون فيقفون امام الرئيس فيباركهم وعندئذٍ يضعون الوشاحات على اكتافهم وهي ذات الوان زاهية

ثم يتقدمون الى المائدة فيتخذ كل منهم مكانهُ وحذاءهُ خادمٌ يقدم لهُ آنية التقديس والبخور ويشرعون بالقداس قائلين المقالات الجهريَّة مناوبَةً . الَّا انهم في هذا القداس لا يقولون التقديسات الثلاثة : قدُّوس الله الخ بل بدلاً من ذلك يقولون بالسريانيَّة ما معناه : « ايها المسيح الذي بفصحه جدَّد خروف الفصح فبجاه فصحك أَبهجنا وارحمنا » مكررين ذلك ثلاثاً . ولا يتبادلون السلام ولا يقول الرئيس : السلام لجميعكم . اماَّ كلام التقديس الجوهري فيتلونهُ معاً بصوت عالٍ وبتأنٍ حتى لا يسبق الواحد الآخر . وفي خلال هذا القداس يوزّعون المناولة الفصحيَّة ولا يحصرون التوزيع في واحد منهم بل يناول كلٌّ من المقدّسين مَن هم حولهُ ووراءهُ . اما الرئيس فيكون قد قدَّس على قربانتين فتناول واحدةً وابقى الثانية ففي نهاية القداس يضعون القربان الباقي في حقَّة ثمينة يحملها الرئيس فيسيرون امامه طوافاً في باحة الكنيسة ثم يعودون الى المكان المعدّ « لحبس » القربان فيضعونهُ هناك ثم يسجدون وينصرفون

اماَّ قولنا « حبس القربان » فهي كلمة اصطلح عليها الشرقيون للتعبير عن الصمدة المزيَّنة التي يعدُّونها في جهة من جهات الكنيسة لحفظ القربان اذ ينقلونهُ عن المذبح الكبير . وهذه عادة جرى عليها جميع الطوائف الكاثوليكية شرقية وغربية فهي اذاً معروفة لدى الجميع لا حاجة للاسهاب بشأنها

اَماَّ الموارنة فلا يحتفلون بهذا قداس الفصح المشترك مع انه كان في القديم من جملة رتبهم ، وقد رأينا في بعض كتبهم الطقسية ما يدلُّ على ذلك . بل ان الكهنة

يقدسون كلٌّ بمفردهِ متوشحين بملابس التقديس الزاهية اللون خلافاً لسائر ايام الاسبوع . وقد قرأنا في كتاب رتبهم ما نصُّهُ : « يوم الخميس بعد صلاة الصبح يُنزع السواد من على المذبح الكبير ويُصمد بازائهِ ابيض . . . » فهم وان كانوا قد ابطلوا إقامة صلاة الصبح الجمهورية فما زالوا حافظين عادة نزع الستار الاسود من امام المذبح واقامة قداس صارخ ينقلون في ختامهِ القربان المقدس ليحفظ في المكان المذكور آنفاً للسجود لهُ كل هذا النهار والليل بعده

٤ حفلة غسل الارجل

هي رتبة تمثّل غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه من بعد ان تعشّوا العشاء السرّي . تصنعها الكنيستان تقريباً على نمط واحد مع فرق جزئيّ ويُحتفل بها عادةً نحو الساعة الثالثة بعد الظهر . فاذا أزفت هذه الساعة قُرع الجرس ليجتمع الشعب (١

ويكون الواعظ قد سبق فجهّز في وسط الكنيسة اثني عشر كرسيّاً في صفَّين متقابلين وما بينهما الى الجهة السفلى كرسيّ كبير وجهه الى جهة المذبح وعليهِ الملابس الكهنوتية . فاذا دخل الكهنة للصلاة يخرج الاثنا عشر تلميذاً من السكرستيا تتقدمهم راية الصليب المقدس فيذهبون يجلسون على كراسيهم في وسط الكنيسة . والكهنة والشمامسة يبدأون رتبة الغسل كما في صلاة الفرض فاذا بلغوا الى رسالة بولس الرسول ينزل الرئيس ومعه معاونان او اكثر الى حيث نُصب لهُ الكرسي الكبير فيرتدي الملابس الكنسية ويجلس على عرشه . والتلاميذ يخلعون احذيتهم من ارجلهم اليمنى فقط ثم يُتلى فصل من انجيل القديس يوحنّا الذي يخبر حكاية الغسل وعند ما يبلغ الكاهن القارئ الى قول الانجيليّ : «قام عن العشاء وخلع ثيابه» يبدأ ينشد هذا الكلام بنغم مستطيل

فينهض حينئذٍ الرئيس ويخلع عنهُ الوشاح الكبير والتاج اذا كان حبراً متتبعاً كلام الانجيل اي انهُ يعمل كما عمل المخلص اذ اراد غسل ارجل تلاميذهِ فيشدّ

(١) ان الكنائس الشرقية لم تتفق على خطّة واحدة بشأن دقّ الجرس من خميس الاسرار الى السبت العظيم فنهم من اتخذوا طريقة الكنيسة اللاتينيّة بألّا يدقوا الجرس كليّةً ومنهم من يدقهُ دقّات الحزن كما يُدقّ للميت . ولعلّهم يحسنون لو منعوا دق الجرس قطعياً

وسطه بمنديل ، ومتى قال الانجيليّ : « وصبّ ماء في مطهرة » ينحدر الرئيس ويجثو على ركبتيهِ امام التلميذ الذي من عن يمينه ، فيصبّ لهُ المعاون الماء على رجل التلميذ وهو يدعكها بالصابون ويغسلها ، فيصل القارئ الى القول : « وكان ينشّفها بالمنديل » فيأخذ منشفة من المعاون الثاني وينشف رجل التلميذ ثم يقبلها اقتداء بالمعلم الالهي في ذلك الاتضاع العجيب ، ثم يغسل رجل الثاني والثالث ثم ينهض ويعود الى عرشهِ ويتّشح بالوشاح ويجلس . فيصمت قارئ الانجيل والمرتلون يرتلون بيتاً من انشودة عربية بنغم سرياني . فاذا انتهوا اعاد قارئ الانجيل الكلام الاول « قام من العشاء » فينهض الرئيس ويصنع كما صنع اوّلاً لكنهُ يغسل ارجل الثلاثة الذين عن يسارهِ ويرجع الى عرشهِ والمرتلون ينشدون بيتاً آخر . ثم ينهض عند قول الانجيليّ « قام من العشاء » ويذهب يغسل ارجل الثلاثة الباقين في الصف اليميني ويعود الى مكانه

وبعد انتهاء المرتلين من البيت الثالث ، يهتف الانجيليّ مكرّرًا كلامهُ : « قام من العشاء » فيقوم الرئيس ويجري كالاوّل ويغسل رجلي اثنين فقط ممّن هم في آخر صف الشمال فاذا انتهى الى الثالث الاخير الممثّل لبطرس وقف هذا وامتنع ، فتجري بينهما المحاورة التي جرت بين السيد المسيح وزعيم الرسل ، فيقول بطرس متعجباً : أأنت يا سيدي تغسل قدميّ ؟ — الرئيس : ان الذي اصنعه لست تعرفهُ الآن لكنّك ستدركه فيما بعد — بطرس : لن تغسل رجليّ ابدًا — الرئيس : ان لم اغسلهما فليس لك نصيب معي — بطرس : اذًا يا سيدي لا تغسل رجليّ فقط بل يديّ ورأسي ايضاً — الرئيس : ان الذي قد اغتسل لا يحتاج الّا الى غسل رجليهِ لانه كلهُ نقي ، وانتم انقياء ولكن لا جميعكم (يوحنا ١٣ : ١٠) . ثم يغسل لهُ رجلهُ ويقبّلها ويرجع الى مكانه وقارئ الانجيل يتمم الفصل والمرتلون ينشدون تتمة الانشودة السابقة . واذ ذاك ينهض التلاميذ ويسيرون امام الرئيس تتقدمهم راية الصليب المقدس عائدين الى الخزانة والرئيس والكهنة يختمون الرتبة بانشاد (ܫܘܒܚܐ) طلبة مار يعقوب بالسريانية

واعلم انه في يوم خميس الاسرار يُحتفَل في الكرسي البطريركي بتقديس الزيوت : زيت العماد وزيت مسحة المرضى وزيت الميرون . على انها رتبة يقوم بادائها السيد البطريرك او الاسقف نائبهُ فقط

٥ الجمعة العظيمة

ان الكهنة قاطبةً لا يقيمون الذبيحة الالهية في صباح الجمعة العظيمة لان في مثل هذا اليوم قدَّم فادينا الالهي نفسهُ ذبيحةً دموية على جبل الجلجلة لخلاص الجنس البشري. على ان الكنيستين الشرقيتين اللتين نحن بصددهما تحتفلان بقداس رسم الكاس السابق تقديسه. وقوام ذلك انهم يدخلون الكنيسة ساعة شروق الشمس فيقيمون صلاة الصبح. وبعد يتوشح احد الكهنة بملابس التقديس وعند الموارنة يلبس «الفارة» بدلاً من البدلة اللاتينيَّة ويتقدم وامامهُ الشمامسة والخدَمة الى الهيكل الكبير ويشرع بهذا القداس على حسب نسقٍ خاص به في كتاب القداس ولا يُتلى الكلام الجوهري لكنهم يتوجهون حيث القربان محفوظ من يوم الخميس فيخرجه رأس الشمامسة او الكاهن ويسلّمهُ الى الرئيس فيعودون بزياح منشدين اناشيد محزنة حتى يبلغوا الى الهيكل الكبير فيتمم الرئيس القداس ويتناول هو ويتناول من شاء التناول من الحاضرين. الّا انهم لايتركون شيئاً من القربان وحيثما وُجدت ضرورة لإبقائهِ فهم يحفظونهُ في معبد خاصّ او في خارج الكنيسة

٦ رتبة دفن المسيح

تقام تمثيلًا لتنزيل جثمان الفادي الكريم من على الصليب ووضعهِ في القبر. ان هذه الرتبة فيها بعض الفرق بين الطقس السرياني والماروني. ففي الكنيسة السريانيَّة يصمدون صليباً عادياً على مائدة المذبح الكبير ومن عن يمينه ويساره شمعتان فقط. امَّا شمعة اليسار فتكون مصبوغة بالاسود تمثيلًا للصّ الشمال الذي قطع رجاءهُ ومات فهلك. وامام الصليب يضعون اطباق البخور وآنية فيها العطور والقطن

ويبدأون اولًا بفرض الساعة التاسعة ثم يتبعونها بصلاة الرتبة وعندما يقرأون قصَّة خلاص اللصّ اليميني وهلاك اللص الشمالي يتقدَّم احد الكهنة فيطفئ شمعة اليسار ويكسرها. ثم يضع رئيس الكهنة بخوراً ويبخّر المصلوب هو اوَّلًا ثم يتناوبون التبخير حسب درجاتهم الاكبر فالاصغر وعند تبخير كل واحد منهم ينشد والمرتلين بالسريانية ما ترجمتهُ: «انا نسجد لصليبك الذي بهِ صار الخلاص لانفسنا، ومع

اللص نهتف اذكرني يا رب اذا جئت في ملكوتك »

ومتى انتهوا من التبخير يسيرون طوافاً في باحة الكنيسة والرأس يحمل الصليب وراء الكل والكهنة يحملون اطباق البخور وآنية الطيب الى ان يصلوا الى منصَّة في طرف الكنيسة الغربي يصعد اليها الرئيس فيقدمون لهُ البخور والطيب فيحنط بها الصليب ويلفُّهُ بالكتَّان ثم يضعهُ في نعش يحملهُ اربعة من الكهنة او من الخاصة ويكملون طوافهم منشدين الاناشيد المحزنة حتى يصلوا الى الهيكل الكبير فيضعون الصليب في قبر معدّ تحت مائدة المذبح الكبير ويطبقون عليهِ بلاطةً مكتوباً عليها هذه الآية : « يموت الصدّيق مهاناً ويُدفن مكرماً ويكون قبرهُ ممجدًا» ويختمونها بالشمع الاحمر

اما في الكنيسة المارونية فبعضهم يقيمون هذه الرتبة قبل الظهر بساعتين اما في المدن العامرة فيحتفلون بها الساعة الثالثة بعد الظهر ، وهاك ما يجري عادةً : يرفعون فوق المذبح الكبير صليباً كبيرًا عليهِ صورة المصلوب مجسَّماً قابلاً للفك والتنزيل مغطًى برداء رفيع اسود ويفرشون تحتهُ الازهار · وعن يمينهِ ويسارهِ شمعتان فقط مطفأتان فاذا حان وقت الشروع بالرتبة يدخل الكهنة والشمامسة لاقامة الصلاة التاسعة وفيها يقرأون قصَّة آلام المخلص وحكاية تنزيل جسده الطاهر ودفنه من كتاب السنكسار · ثم يُقرأ انجيل لوقا المخبر عن خلاص اللص اليمني فتُشعل حينئذٍ الشمعة التي الى يمين المصلوب وتظلُّ اليسرى مطفأة · ويكشف احد الكهنة الغطاء عن الصليب · وبعد الصلاة التاسعة يواصلون بصلاة الرتبة · ومتى انتهى الكاهن من قراءة فصل الانجيل المخبر عن موت المخلص وتنزيل جسدهِ المكرَّم يرتدي رئيس الخورس ثياب الكهنوت وغفَّارة سوداء واثنانِ من الكهنة او الشمامسة يلبسان درعاً نصفياً وبطرشيلاً من كتف الشمال الى تحت إبط اليمين كالشماس وهذان يصعدان الى جانب المصلوب فيقف كلٌّ من ناحية · فيتلو الرئيس صلوةً لنزع الاكليل وبعدها يرتل المرتلون ترتيلاً محزناً من الوزن المشهور بـ (ܥܡ ܩܘܠܣܐ) · وفي اثناء ذلك ينزع الكاهنان الاكليل عن رأس تمثال المصلوب ويضعانه في طبق معدّ لهُ ثم يستتلي الرئيس بالصلاة لنزع مسماري اليدين فيرتل المرتلون والكاهنان يخلعان المسارين ويضمَّان الذراعين الى الجسم وهكذا يجري لمسمار الرجلين وتوضع المسامير في طبق

كالاكليل . كلُّ هذا واعين الشعب شاخصةٌ لهذا المنظر المهيب مغرورقة بالدموع تخشعاً

ثم يحمل الكاهنان شخص المسيح بين ايديهما ويدفعانهِ الى الرئيس الذي يضعهُ في النعش المجلل بالزهور فيُحمل بين اربعة والكاهنان يحملان طبقي الاكليل والمسامير ويطوفون في الكنيسة باحترام والرئيس يضع بخورًا ويُبخّر النعش وهو سائر امامه بينما المرتلون يرتلون التراتيل المحزنة . ومتى كمل الطواف يضعون النعش على منصّة امام المذبح وعندئذٍ يصمت المرتلون فيقول الكهنة بالسريانية ما ترجمتهُ : «ايها المسيح الذي صُلبت لاجلنا ارحمنا» مكررينها ثلاثاً وفي كل مرَّة يصنعون مطانيَّةً ويقبّلون الارض . وبعد ذلك يحملون شخص المصلوب الى حيث اعدُّوا لهُ القبر تحت احد المذابح الصغيرة فيضعونهُ فيه بين الازهار ويعلقون فوق القبر لوحةً مكتوبة عليها الآية التي ذكرناها آنفاً . ثم يأخذ كاهن بين يديهِ صليباً صغيرًا يعرضهُ للشعب ليقبّلوه قبل خروجهم من الكنيسة

وقد اخذ الموارنة هذه رتبة التزيل عن رهبان الارض المقدسة الفرنسيين مع بعض التصرّف . اما في القديم فكانوا يدفنون الصليب بين الازهار كرتبة السريان لكن بدون تحنيط بالبخور والطيب

٧ يوم السبت العظيم

تُقام القداسات في صباح هذا النهار كباقي ايام الاسبوع بالبدلات السوداء — فالموارنة قبل الظهر بساعة يكونون قد نزعوا علائم الحزن من الكنيسة وزينوها بافخر زينة فيأتي الرئيس والكهنة والشمامسة ويقفون للصلاة التي يدعونها صلوة الغفران (ܪܡܫܐ ܕܥܠ ܫܘܒܩܢܐ) وموضوعها الاستغفار عن الذنوب والحث على مسامحة من أذنب وإزالة الحقد استعدادًا لعيد قيامة الفادي المجيد . اما أنغام هذه الصلاة فمفرحة يقولون فيها هلليلويا و(ܒܪܟ ܡܪ) . وعند النهاية منها يكون قد حان الظهر فيدقّون جرس الكنيسة ويتلون صلاة التبشير وبعدها يقف الرئيس في باب الدرابزين فيتقدمون واحدًا فواحدًا ويقبلون يده فيقول لكل منهم : السلام لك . . .

وعند السريان يظلّ احد الكهنة صائماً من نصف ليل السبت الى ما بعد ظهر هذا النهار ونحو الساعة الخامسة يحتفلون بصلاة المساء احتفالاً فخيماً ثم يقيم الكاهن الصائم قداساً صارخاً في تلك الساعة المتأخرة من النهار وكثيرون يتقدمون من المائدة السرّية وهم بعد قائمون على الطّوى حتى تلك الساعة . وهذا الاحتفال يصنعه الارمن والكلدان ايضاً (١

٨ احد القيامة المجيدة

اعتاد الموارنة ان يحتفلوا في القيامة بقداس نصف الليل كما في عيد الميلاد . فاذا حانت الساعة ١١ ليلاً سمعت اجراس الكنائس ترنّ موذنةً بقيامة السيد المسيح من بين الاموات . وفي اثناء القداس الكبير يعملون رتبة يسمّونها « رتبة السلام » فيفتتحونها بكلام السيد له المجد لتلاميذه : السلام استودعكم سلامي أُعطيكم . ويقرأون شذرةً من رسالة بولس الى اهل رومية (١٦ : ١—٢٤) الذي فيها يبعث الرسول سلامهُ وسلام معاونيهِ الى كل من عرفهُ او تعب لاجلهِ . وبعد قراءة فصل من انجيل يوحنا (١٥ : ٧—١٤) الذي يوصي فيهِ السيد تلاميذه بمحبة بعضهم بعضاً كمحبة الآب لهُ ومحبتهِ للآب ، يقصدون جميعاً الى القبر حاملين الشموع المضيئة . فيقف رئيس الخورس ويضع بخوراً ويبخر القبر ثلاثاً قائلاً مع الكهنة ما حرفيّته : ايها المسيح الذي قام من بين الاموات ارحمنا . ثم يكشفون ستار القبر فيأخذ الرئيس الصليب منهُ (يكون الواهف قد سبق ورفع المصلوب الكبير الذي دُفن بالامس ووضع مكانهُ صليباً صغيراً يمكن حملهُ) ويضع عليهِ رداء ابيض ثميناً

ويسير الجميع طوافاً في الكنيسة ويتقدّم الموكبَ شماسٌ حاملاً صورة القيامة وهم يرتّلون اناشيد القيامة مردّدين التهاليل بقولهم آخر كل بيت هلليلويا . وفي آخر القداس يوزع الرئيس على الشعب الازهار التي كانت في القبر بركةً وتذكاراً

وهذه الرتبة عينها مع بعض التصرّف يقيمها السريان ويزيدون عليها انهم ينصبون الصليب على يمين المذبح الكبير ويظلّ هكذا مدة ٤٠ يوماً اشارةً الى المدة

١) هذا القداس الاحتفالي كان في اوائل الكنيسة يجري في نصف الليل ثمَّ قدَّموهُ الى مساء النهار السابق تخفيفاً على المؤمنين في بلادٍ كان الخروج فيها ليلاً كثير الاخطار

التي قضاها المخلص متردّدًا على الارض بعد قيامته وقبل صعوده الى السماء

هذا ما عنّ لي ذكرهُ بهذا الشأن واني اسأل القادي الكريم ان يعيد امثال هذه التذكارات الفخيمة والمواسم الجليلة على قداسة إمام الاحبار رأس الكنيسة المنظور والسادة الاساقفة وكلّ ابناء الكنيسة الجامعة سنين كثيرة. وشدّ ما كان فرحنا عندما قرأنا مؤخرًا بان الكنيسة اليونانيَّة قرَّرت ان تحذو حذو حكومتها باتباع الحساب الغربي. فعن قريب ان شاء الله لا يعود يُسمع بذلك الفرق المشين بين اعياد الامم المسيحية. والله تعالى نسأل ان يلهم المنفصلين نعمة الانضمام الى وحدة الكنيسة الجامعة ليتمّ ما شاءه قلبه الاقدس بان تُصبح الرعيَّة كلها واحدةً لراعٍ واحد

المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

تمة لحرف الياء

٨٦١ ﴿ يوساب راهب الاسقيط ﴾ في القرن السابع عشر. لهُ في مكتبة باريس (Ms. 280²) اخبار روميَّة

٨٦٢ ﴿ يوساب ﴾ مطران دَرْجا واخميم كان في القرن الخامس عشر. لهُ في مكتبة باريس (ROC, XIV, p. 176, n° 4711) سبعة وعشرون ميمرًا في المعتقدات النصرانيَّة. ثم (ibid., p. 187, n° 4790²) بيان الديانة المسيحيَّة وجدال مع بعض المسلمين

٨٦٣ ﴿ يوسف الاوَّل ﴾ بطريرك الكلدان المتوفَّى في رومية سنة ١٧٠٧ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٧٨—٨٨٠) لهُ في المكتبة الفاتيكانيَّة مقالة في المعموديَّة والتوبة

٨٦٤ ﴿ يوسف الثاني ﴾ بطريرك الكلدان المتوفَّى في ديار بكر سنة ١٧١٣

(اطلب ترجمتهُ في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٨١–٨٨٢ و ٤ [١٩٠١] : ٨٥٠–٨٥١) ألّف عدّة كتب باللغة الكلدانية (Bibl. Or. III 603-609). ومما لهُ في العربيّة: ١ً المرآة الجليّة في دحض النساطرة واليعاقبة وصحّة الديانة الكاثوليكيّة ألّفهُ سنة ١٧٠٦ . منهُ نسخة بالكرشوني في مكتبة كمبردج (Wright, 853-860 Add. 3281) ونسختان في مكتبة الكلدان في ماردين . ٢ً كتاب المعالي في شرح الصلوات والطقوس الكلدانيّة في اربع مقالات وعدّة فصول . منهُ نسخة في لندن (Suppl. 42) وفي مكتبتنا الشرقيّة بالكرشوني تاريخهُ سنة ١٧٢٩ بيد الشمّاس ميخائيل ابن المطران باسيليوس ابن المقدسي غرابيت الساكن قرية عين تنّور . ومنهُ ايضاً نسخة في مكتبة الكلدان في ماردين (Cod. 98³) . ٣ً كتاب كنز الاسرار بالكرشوني منهُ نسخة في مكتبة الكلدان في ماردين . ثم نقل الى العربيّة والكلدانيّة من اللاتينيّة اعمال احد عشر مجمعاً من المجامع العموميّة . (Addi Scher, Cod. 95) وقد نشر الاب بيجان الترجمة الكلدانيّة في باريس سنة ١٨٨٨ . وقد نقل يوسف الثاني عدّة كتب من العربية الى الكلدانية ككتاب الطب الروحي وكتاب المغناطيس في السيرة الروحية الخ

٨٦٥ ﴿يوسف اسقف فوّه﴾ عاش في القرن الثالث عشر للمسيح . لهُ في المكتبة الفاتيكانيــة تعريب كتاب الفردوس العقلي المنسوب الى القديس يوحنّا الدمشقي (وينسبهُ بعضهم الى القديس غريغوريوس نيسس) (اطلب المكتبة الشرقيّة للسمعاني BO, I, 633, n° 6)

٨٦٦ ﴿يوسف البازيزي الكبوشي﴾ هو الاب الشهير يوسف دي ترمبلاي (P. Joseph de Tremblay) المتوفى سنة ١٦٣٨ م لهُ كتاب في طريقة الصلاة عرّبهُ الاب اغاتنج دي فندوم (Hilaire de Barenton: *La France en Orient* p. 123)

٨٦٧ ﴿يوسف اليسوعي﴾ كذا ورد اسمهُ بدون تعريف آخر . كان في القرن السابع عشر . وعلى ظنّنا انهُ هو الاب يوسف بشون الذي كان مرسلًا في حلب في الشطر الثاني من القرن السابع عشر وتوفي هناك سنة ١٦٩١ وكان متقناً المعربيّة . ١ً في مكتبة باريس (Paris, Ms. 125) خدمة السيدة ام الله مرتمريم الدائمة بتوليتها

ألّفها من اقوال الآباء القديسين لمن شاء من المسيحيين. تأليف الاب يوسف اليسوعي. ٢ً في مكتبة اوبسالا (Upsal, Ms. 496) كتاب عن القربان الاقدس وفقاً لتعاليم المجامع في ١٥ باباً مع شروح على الصلاة الربيَّة تأليف الاب يوسف اليسوعي. ولعلَّ هذا الكتاب هو المعروف بعجائب القربان الذي ورد وصفهُ منسوباً الى الاب يوسف اليسوعي في مجلّة العالم الكاثوليكي (Cosmos Catholicus, 1914, p. 125-126, n° 49) في جملة مخطوطات مدرسة الصلاحية في القدس الشريف

٨٦٨ ﴿يوسف دي رولي﴾ هو المرسل الكبوشي الفرنساوي (P. Joseph de Reuilly) كان في القسم الاوَّل من القرن الثامن عشر. ١ً معرِّب كتاب بوق السماء المنادي في كلّ اذنٍ صمَّاء همَّ باستخراجهِ في مصر سنة ١٧١٧ وهو في ثلثة اقسام وعدَّة فصول. منهُ نسخٌ شتَّى في باريس (Ms. 230) وفي مكتبة لندن (Ellis, Or. 5079) ومكتبتي بزمّار ودير الشير ونسختان في مكتبتنا الشرقيَّة الخ. ٢ً عرَّب ايضاً في حلب سنة ١٧٢٠ كتاب المخاطبات اللاهوتيَّة الروحيَّة في عظَمات السيد المسيح للاب لويس دي ارجنتان. منهُ نسخة في مكتبة الكبوشيين في بيروت وفي مكتبتنا الشرقية ومكتبة نقولا افندي أيوب في حلب

-﴿يوسف الخوري الحلبيّ﴾- اطلب الباني تحت العدد ١٧٦

٨٦٩ ﴿يوسف اسقف متونيس﴾ كذا ورد اسمهُ ولم نعلم شيئاً عنهُ. في مكتبتنا الشرقيَّة رسالة الاب يوسف اسقف متونيس جواباً على كير مرقص مطران افسس في المجمع الفلورنتيني (في القرن الخامس عشر)

-﴿يوسفيان﴾- اطلب يعقوب يوسفيان

٨٧٠ ﴿يونس﴾ بطريرك الاقباط في القرن الثالث عشر. لهُ في مكتبة باريس في مجموعة عدد ٢٥١ جدال بينهُ وبين يهودي وملكيّ

٨٧١ ﴿يونس﴾ الانبا اسقف اسنا. كتب في القرن الثالث عشر ترجمة حياة واستشهاد القديسة ديلاجي على عهد القيصر مكسيميانوس (Paris, Ms. 153 [3])

٨٧٢ ﴿يونس﴾ الانبا اسقف اسيوط من كتبة الاقباط في القرن الثالث عشر كتب اخبار الشهداء الذين قُتلوا في مدينة اسنا. منهُ نسخة في مكتبة باريس (Ms. 780 [3]) تاريخها سنة ١٢٣٦ للشهداء (١٥٢٠ م)

ملحق

فيهِ اسماء من فاتنا ذكر تآليفهم

(على ترتيب حروف المعجم)

٨٧٣ ﴿ ابن بختيشوع ﴾ جبرائيل المتوفى سنة ٢١٣ هـ ٨٢٨ م (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ١١٠١—١١٠٢) ذُكر لهُ هناك من الكتب كنّاش ورسائل طبيَّة ورسالة في المطعم والمشرب وكتاب المدخل الى صناعة المنطق

٨٧٤ ﴿ ابن بختيشوع ﴾ جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع المتوفى سنة ٣٩٦ هـ (١٠٠٥ م) (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٨ [١٩٠٥] : ١١٠٤) . لهُ كناشان طبيَّان كبير وصغير ورسالة في عصب العين . ونظنها انها هي المدعوَّة ايضاً طبّ العين منها نسخة عند الاديب يوسف بك رزق الله شديد اهداه أياها الوجيه جرجس بك صفا

٨٧٥ ﴿ ابن بختيشوع ﴾ جيورجيوس بن جبرائيل المتوفى سنة ١٥٢ هـ (٧٦٩ م) (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٨ [١٩٠٥] : ١١٠٠) هو الناقل للمنصور كثيراً من كتب اليونان . ولهُ كنّاش طبي في السريانية

٨٧٦ ﴿ ابيفانيوس ﴾ البطريرك القسطنطيني المتوفى سنة ٥٣٥ م . لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة بين مجموع قوانين الرسل والمجامع البيعيَّة والملوك مجموعة قوانين في عدد ١٣٧ مادَّة وضعها للملك يوسطينوس

٨٧٧ ﴿ اسطفانوس القبرسي ﴾ احد تلامذة الموارنة في رومية في القرن الثامن عشر . لهُ تعريب مواعظ الاب بولس سنيري اليسوعي . منهُ نسخة في مكتبة مار عبدا هرهريا

٨٧٨ ﴿ اغاتنج دي فندوم ﴾ هو الطوبوي الكبوشي المرسل الى الشام ثم المستشهد في الحبشة في ٣ حزيران ١٦٣٨ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٥١٢—٥٢١) . لهُ تعريب كتابين لاحد اخوتهِ الرهبان الاب مبارك الكبوشي كتاب التسليم لمشيئة الله وكتاب طريقة الصلاة (P. H. de Barenton, p. 123)

٨٧٩ ﴿ أَلزيار دي سمساي ﴾ المرسل الكبوشي (Elzéar de Samsaye)

المرسل في الشام صنّف معجماً عربيًّا سنة ١٦٦١ (H. de Barenton, p. 123)

٨٨٠ ﴿امفيلوشيوس﴾ هو مطران قونية القديس المتوفَّى نحو السنة ٣٩٦م . كان صديقاً للقديس باسيليوس . وفي مكتبتنا الشرقيَّة ترجمةُ لهذا القديس الَّا أنَّنا لم نجد لها ذكرًا بين اعماله اليونانيَّة (Migne, PG., vol. 39) ولعلَّها من اعماله المفقودة

٨٨١ ﴿اورسين دي بورج﴾ المرسل الكبوشي (P. Ursin de Bourges) كان في اواخر القرن السابع عشر . ذُكر لهُ في قائمة تآليف الآباء الكبوشيين بالعربيَّة : ١ً كتاب ترجمة مار سمعان العمودي . ٢ً ترجمة القديس انطونيوس البادوي (H. de Barenton, p. 123)

٨٨٢ ﴿أيوب﴾ القس توما الحلبيّ السرياني المتوفَّى في ٥ ت ١ ١٩١١ . هو معرّب رواية الكردينال ويسمان الشهيرة باسم فابيولا فطُبعت بالقدس . وطُبعت ايضاً رواية الى اين (Quo Vadis) من تعريبهِ (في حلب) ورواية الكفَّارة (في مطبعتنا) . وممَّا لم يمثل بعد للطبع عدَّة روايات من تعريبهِ ورسائل ومتفرّقات عديدة شعريَّة ونثريَّة ولهُ ديوان شعر ومجموعة مواعظ تبلغ المئة دعاها «شبكة بطرس»

٨٨٣ ﴿باز﴾ سعد من أدباء دير القمر توفّي سنة ١٨٧٢ . لهُ ديوان شعر عند اهلهِ ومن نظمهِ اغاني دينيَّة في البتول مريم وفي قيامة لعازر وغير ذلك

٨٨٤ ﴿بَحيرا الراهب﴾ كان في النصف الاوَّل من القرن السابع . في مكتبة باريس رؤيا بحيرا الراهب (Paris, Ms. 215) ومباحثهُ مع محمَّد نبي الاسلام

٨٨٥ ﴿برنردس﴾ القديس الناسك الشهير المتوفَّى سنة ١١٥٣ . وفي احد مجاميع مكتبتنا الشرقيَّة «رسالة في كمال العيشة المسيحيَّة للقديس العامل ماري برنردس الناسك» لم يُذكر معرّبها

٨٨٦ ﴿البستاني﴾ المعلّم بطرس المتوفَّى في ١ أيار سنة ١٨٨٣ . لهُ ما خلا التآليف المطبوعة الشهيرة كمحيط المحيط وقطرهِ ودائرة المعارف والكتب المدرسيَّة كتابُ بلوغ الارب في نحو العرب لم يُطبع . وكذلك لهُ عدَّة رسائل ادبيَّة وتهذيبيَّة وخطب مخطوطة

٨٨٧ ﴿تالاسيوس﴾ هو القديس الناسك عاش في القرن الخامس للميلاد . في مكتبة دير الشير في اوَّل احد الجاميع المعنون «اقوال ناطقة وآراء صادقة» اقوال

لابينا الجليل في القديسين تلاسيوس تحتوي اربعمائة حكمة في ٤٠٠ باب الباب الاوَّل في الحب وضبط الهوى والسيرة العقليَّة الخ

٨٨٨ ﴿تقلا﴾ سليم بك منشئ جريدة الاهرام المتوفَّى في تموز سنة ١٨٩٢ . ترك من المخطوطات رسائل ادبيَّة ونبذًا تاريخيَّة وروايات تمثيليَّة كرواية مترِيدات ورواية أيوب البارّ . وقد خلفهُ شقيقهُ بشارة باشا في اشغالهِ الصحافيَّة ولا نعرف لهُ مخطوطًا توفي سنة ١٩٠١

٨٨٩ ﴿الجاويش﴾ الكاتب الاديب فتح الله المتوفَّى في ٦ تموز ١٩١٨ . وقفنا لهُ عند آلهِ الكرام على مخطوطات تاريخيَّة عن سوريَّة وشذرات شعريَّة ونثريَّة

٨٩٠ ﴿جيغالا﴾ رئيس اساقفة قبرس (Matthieu Tzigala) رئيس اساقفة قبرس من تلامذة مدرسة القديس اثناسيوس في رومية . عرَّب البطريرك مكاريوس الحلبيّ في اواسط القرن السابع عشر تاريخهُ الدرّ المنظوم في اخبار ملوك الروم من عهد قسطنطين الى السلطان مراد منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة الواحدة ناقصة . (راجع العدد ٣٥٦)

٨٩١ ﴿خليل الخوري﴾ المتوفَّى في ٢٦ ت ١ ١٩٠٧ منشئ حديقة الاخبار ومعرّب كتاب تكملة العبر لصبحي باشا وهو تكملة لتاريخ ابن خلدون . من مآثره المخطوطة كتاب تاريخ مصر كان اقترحهُ عليهِ الخديوي سعيد باشا فانجزهُ سنة ١٨٦٤ . ولهُ ايضاً مجموعة شعريَّة تاريخيَّة كبيرة وخطبة في خرابات سوريا ومقتطفات من تاريخي ابن شحنة وشهاب الدين المقدسي

٨٩٢ ﴿الحدَّاد﴾ الاديب نجيب من عين قني في لبنان حفيد الشيخ ناصيف اليازجي توفي في ٩ شباط ١٨٩٩ لهُ ديوان شعر وروايات ومقالات ادبيَّة بعضها لا يزال مخطوطًا . وكان اخوهُ امين ايضاً شاعرًا ناثرًا فتوفي سنة ١٩١٢

٨٩٣ ﴿حيدر﴾ الامير حيدر الشهابي المتوفَّى سنة ١٨٣٤ . هو صاحب كتاب الغرر الحسان في تاريخ جبل لبنان منهُ نسختان في مكتبتنا في عدَّة مجلَّدات الواحدة قديمة . وقد طُبع الكتاب في مصر بتصرُّف

رعد — اطلب يوحنا الماعي

سابا — الخوري اطلب الكاتب

٨٩٤ ﴿سركيس﴾ خليل اللبناني صاحب المطبعة الادبيَّة ومنشئ لسان الحال المتوفَّى سنة ١٩١٥ . لهُ المطبوعات الشهيرة المتعددة . امَّا مخطوطاتهُ الباقية فبعض كتابات سياسيَّة وادبيَّة لا تزال في يد ابنهِ الاديب رامز افندي

٨٩٥ ﴿سعد﴾ الخوري الياس تلميذ المدرسة المارونيَّة في رومية كان في اواسط القرن الثامن عشر . لهُ في مكتبة مدرسة مار عبدا هرهريًا تعريب كتابين للكردينال لمبرتيني (البابا بندكتوس الرابع عشر) في شرح اعياد السيّد والسيّدة وفي تطويب القديسين في مجلَّدين ضخمين

٨٩٦ ﴿سيجموندي﴾ هو الاب اليسوعي سور كينسا كان في القرن الثامن عشر . عرَّب الخوري سابا الكاتب فلسفتهُ . كانت منها نسخةٌ في تركة القس انطون بولاد فطبعها على الحجر في دمشق طبعةً سيِّئة سنة ١٨٥٥

٨٩٧ ﴿عسَّاف﴾ انطونيوس جرجس كان في اواخر القرن الثامن عشر . لهُ في مكتبة مار عبدا شرح عوامل الاعراب ملحق لاصول العربيَّة للقدسيّ غريغوريوس نعمه

٨٩٨ ﴿فرج الله الاخميميّ المصري﴾ من نصارى الاقباط في القرن الرابع عشر . لهُ في مكتبة باريس (Ms. 250) كتاب مجمع القوانين

٨٩٩ ﴿الفغالي﴾ القس انطونيوس اللبناني المتوفَّى في اواخر القرن التاسع عشر طُبع لهُ كتاب ينبوع السلوان في زيارة القربان وروضة الازهار في نظم الاشعار . ومن مخطوطاتهِ في يد القس انطونيوس شبلي كتاب البرهان الوطيد في الرد السديد لتفنيد زعم نتنائيل خيخا في نقض رياسة البابا ثمَّ كتاب ترجمان لسان البيان (ارجوزة) . ولهُ قصائد متفرِّقة

٩٠٠ ﴿قيساريوس﴾ القديس شقيق القديس غريغوريوس النزينزي المتوفَّى سنة ٣٥٨ . عند حضرة القس بولس سباط نسخة من جوابهِ على مئة سؤَال عرضها عليهِ بعض تلامذتهِ (*EO* XXVI, p. 333, n° 131)

٩٠١ ﴿لمبرتيني﴾ الكردينال بروسبيروس (ثمَّ البابا بندكتوس الرابع عشر

٩٠٢ ﴿مبارك الكبوشي﴾ كان في اواسط القرن السابع عشر . عرَّب لهُ الاب اغاتنج دي ڤندوم كتابين في التسليم لارادة الله وفي طريقة الصلاة

المتوفَّى سنة ١٧٥٨ . لهُ في مكتبة مدرسة مار عبدا تعريب كتابيهِ في اعياد القديسين

والسيدة ثم تطويب القديسين في مجلّدين ضخمين عرّبهما الخوري الياس سعد

٩٠٣ ﴿متى﴾ بطريرك الاقباط في القرن السابع عشر لهُ في مكتبة باريس (Paris, Ms. 225 et 226) دستور ايمان الاقباط في الردّ على الكلوينيين في ١٨ اثور سنة ١٣٨٨ للشهداء (١٦٧٢م)

٩٠٤ ﴿موسى فرج الله﴾ في مكتبتنا الشرقيَّة تأليف لغوي حسن عنوانهُ «كتاب الاجرومي مع اعرابهِ في النحو» ومقالة في العوامل دعاها جزء النحلة وضعهُ «الشمَّاس موسى ابن المرحوم الشمَّاس فرج الله ابن الخوري يشوع البابلي من آل غنيمة القاطنين دار السلام بغداد تاريخهُ ٢٧ رمضان ١١٢٩ هـ (١٧١٦م) »

(التتمَّة لعدد آخر)

جثالقة المشرق ومفارنة السريان

بقلم حضرة القس اسحق ارملة السرياني (تابع)

١١ ﴿شمعون الاوَّل﴾ هو القديس شمعون برصبَّاعي (١ المشهور بالفضل والفضيلة. والممتاز بتوقد الذهن وسعة المعارف. نُصب جاثليقاً وسالفهُ فافا في قيد الحياة. وعام ٣٢٩ أُنيطت بهِ وحده رئاسة المشرق. وهو الذي حتم ان يصلّي الشرقيّون فروضهم الدينيّة ما بين جوقتين مثلما رتّب اغناطيوس النوري البطريرك في انطاكية. وفرض على الاكليروس ان يرتلوا المزامير غيباً وقسمها الى مراميث (ܡܪܡܝܬܐ) وهولالات (ܗܘܠܠܐ) وحرَّج على الراهبات حضور الصلاة القانونيَّة وانشاد المداريش مع الرجال عشية الآحاد والأعياد. وصنَّف بعض التراتيم والرسائل وعام ٣٤٠ اصدر شابور الملك أمرهُ الى مار شمعون ان يجمع الجزية مضاعفة من ملّتهِ فانكر عليهِ ذلك فاستشاط الملك غضباً وعوَّل على اكتساح جرثومة النصرانيَّة من مملكتهِ. فقوَّض كنيسة المدائن وامر بالقبض عام ٣٤١ على الجاثليق وعلى اربعة اساقفة وتسعة وتسعين من الاكليرس والمؤمنين وسيقوا الى ليدان بالاهواز. وما

---

١) اطلب المكتبة الشرقيَّة للعلاَّمة السمعاني ١ : ١

كادوا يصلون الى العاصمة حتى أُلقوا في السجن جميعاً . ولما كان خميس الفصح وتعذر على الجاثليق واساقفته اقامة القداس استحضروا خبزًا وخمرًا ووضعوهما على ايدي الاكليروس وقدّسوا وقرّبوا جميع المسجونين . وصباح الجمعة العظيمة ساقهم الجند خارج المدينة فتألّب الناس وتقاطروا ليشاهدوهم وكان القديس شمعون إمامهم يتقدّمهم حتى بلغوا الى منقع العذاب فأقبل السيّافون وفصلوهم عشرة عشرةً وأبعدوا بهم قليلًا وضربوا أعناقهم (١ . وكان الجاثليق القديس يقبّل جبين واحدٍ فواحدٍ ويشجّعه . وآخر الكل قُتل هو ايضاً وتمّ استشهادهم أصيلَ يوم الجمعة العظيمة . وظلّ الجنود يسوقونهم زرافاتٍ كالغنم الى المجزرة مذ ذاك اليوم حتى الاحد الجديد فسُمّيت لذلك تلك الجمعة جمعة المعترفين . واستغرقت حبريّة مار شمعون الشهيد اثنتي عشرة سنة . ونُقلت عظامه المقدّسة الى مدينة شوشان بعيلام وشيّدت على اسمه كنيسة في ليدان

واشتهر في عهده مار يعقوب اسقف نصيبين (٣٠٩—٣٣٨) الذي سمّاه اوسابيوس فخر اساقفة المشرق وجهبذًا في معرفة الكتب المقدّسة . وهو الذي شاد الكنيسة الكبرى في نصيبين (سنة ٣١٣—٣٢٠) وما برح قبره مصوناً فيها حتى اليوم (٢ . وأجمع الشرقيون على انهُ حضر المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ مع افريم السرياني تلميذه

وعُرف كذلك ميلس اسقف شوشان الشهيد († ٣٤١) الذي صنّف رسائل وميامر شتى . وافرهاط الحكيم الفارسي سنة ٣٤٥ صاحب كتاب البراهين الذي رتّب مقالاتهِ على الحروف الابجديّة واضاف اليه مقالة في العنقود (٣ . وغريغوريوس الناسك في جبل الإزل مصنّف كتاب السيرة النسكيّة (٤ نحو سنة ٣٥٠ . ومار افرام الملفان († ٣٧٣) الذي تُغني شهرتهُ عن وصفهِ . وقد بلغ عدد الشهداء الذين أُهدرت

١) على هذا النسق عينه جرى الاتراك لمّا ذبحوا نصارى ارمينية وما بين النهرين سنة ١٩١٥ وما بعدها كما جاء في كتاب «القصارى في نكبات النصارى» ف ٩ ص ١٩٣

٢) اطلب سياحتنا في طور عبدين (المشرق ١٦ [١٩١٣] : ص ٨٥٠)

٣) نشرها العلّامة رَيت الانكليزيّ سنة ١٨٦٩ وغرافان الفرنساوي سنة ١٨٩٤ ونُقلت الى اللغة الارمنيّة باسم يعقوب النصيبينيّ سهوًا

٤) منهُ نسخة في المكتبة الواتكانية ونسخة ثانية في مكتبة البطريركيّة الكلدانيّة بالموصل

دماؤهم حباً للمسيح في تلك الغضون نيفاً ومائة وستين الفاً

١٢ ﴿شهدُست﴾ هو ابن اخت القديس شمعون سالفه وتلميذه. وُلد في باجرمي (بكركوك) وقيل في شوشان ونُصب جاثليقاً سنة ٣٤١ بعد ثلاثة اشهر لاستشهاد سالفه. وفي السنة الثانية لجبريَّته أُلقي في السجن مدة خمسة اشهر مع ١٢٨ شخصاً من نبلاء شعبه ثم فتك بهم شابور الملك في المدائن في ٢٠ شباط. ومن قوله المشهور «ان رئيس النصارى هو الله تعالى الذي يُقيم لهم من يشاء. وكما ان البحر لا تنضب مياهُه كذلك النصرانيَّة لن تُمحى من الارض»

١٣ ﴿بر بَعْشمين﴾ هو ابن اخت مار شمعون ايضاً وعنهُ أخذ وعليه درس. وخلف شَهْدُست سالفهُ عام ٣٤٣ بحضور طائفة من الاساقفة والكهنة وهو الذي اشار عليهم ان يتزَّيوا بثياب بيض كعامَّة الناس تملصاً من الاضطهاد. وظلَّ الاكليرس الشرقيّ على ذلك الزيّ حتى ظهور بدعة نسطور. وفي ٦ نيسان ٣٤٥ فتك شابور بمائة وعشرين نفراً من كهنة وشمامسة ورهبان وراهبات في المدائن. ثم قبض على الجاثليق وعلى سبعة عشر شخصاً من افاضل اكليرسه واعتقلهم منذ شباط ٣٤٥ الى ٩ كانون الثاني ٣٤٦ فاستحضرهم الى ليدان وقتلهم قاطبةً وقتل بعدهم قسماً صالحاً من نصارى بابل والاهواز وكركوك وحدياب وأربيل وما جاورها. وتمادى شابور في التنكيل بالمسيحيين مدة تملكه التي استغرقت اربعين سنة (٣٣٩-٣٧٩)

١٤ ﴿تموزا﴾ ويسمَّى ايضاً تومرصا (١ تسنم جاثليقية المدائن سنة ٣٦٣ وذلك بعد سبع عشرة سنة لفراغ الكرسي (٢ ودبر رعيَّته ثاني سنوات وامتاز بالخلال الحسنة والمزايا الشريفة. ولم يأذن الَّا للشيوخ ان يتوشَّحوا بالثوب الرهبانيّ لانتقاص المسيحيين بسبب الاضطهاد. وحانت وفاة تموزا الجاثليق سنة ٣٧١ ودُفن في المدائن

١٥ ﴿قيُوما﴾ نُصب جاثليقاً سنة ٣٧٣ وساس كنيسة الشرق بالحزم والغيرة حتى ملك يزدجرد فعقد الصلح مع ارقاديوس ملك الروم بمساعي القديس ماروثا اسقف

---

١) اطلب الحاشية على شحلونا الجاثليق عدد ٩

٢) روى مار ماروثا في أخبار الشهداء ان كرسيّ المشرق ظلّ فارغاً زهاء عشرين سنة. وقال المؤرخ ماري ٢٢ سنة وعمرو بن متى ٣١ سنة وايليا النصيبي ٣٧ سنة وغيره ٣٣ سنة

ميافرقين الطبيب النبيل والعلّامة الشهير . وعام ٣٩٩ عقد قيوما مجمعاً حضره مار ماروثا واساقفة المشرق والحّ عليهم ان يُقيلوه ففعلوا وسمّوا بدلًا منهُ اسحق الاوّل

١٦ ❊ اسحق الاوّل ❊ وُلد في كشكر وخُصّ بالذكاء وتوقّد الذهن وخدم سالفهُ قيّوما خدمةً نصوحاً حتى تبوّأ كرسيّهُ سنة ٣٩٩ وفي هذه السنة جلس يزدجرد الاوّل على تخت المملكة الفارسيّة فأحسن الى النصارى ورخّص لهم ان يرمّموا ما تقوّض من الكنائس وأطلق جميع الاسرى

ومذ ذاك عوّل القياصرة على توثيق عرى الاتحاد مع الاكاسرة فاغتنم مار ماروثا تلك الفرصة وقصد سنة ٣٩٩ ارقاديوس الملك (٣٩٥–٤٠٨) وتوسّل اليهِ ان يكتب رسالة توصيةٍ الى يزدجرد ليكفّ عن إلحاق الأذى بنصارى مملكته . ولمّا صار اليه ماروثا وابرأهُ من مرضهِ أجاب الى طلبتهِ . فقفل الى القسطنطينيّة عام ٤٠٢ ثم عاد الى المدائن نحو السنة ٤٠٨ وصرف كلّ وسعهِ في اصلاح شؤون الكنيسة الشرقيّة وحضر مجمع سليق (سلوقية) سنة ٤١٠ (١) واغتنم فرصة اقامتهِ في المدائن فجمع اعمال الشهداء وكتبها بلهجةٍ بليغةٍ مؤثّرةٍ ونقل شيئاً كثيراً من ذخائرهم الى ميافرقين فدُعيت لذلك مدينة الشهداء (Martyropolis)

ثم توجّه ماروثا ثالث دفعة الى المدائن سنة ٤١٨ فاستصحبهُ يبالاها الجاثليق الى القسطنطينيّة . وانتقل الى جوار ربّهِ في ١٧ شباط ٤٢٠ . امّا اسحق الجاثليق فحلّت وفاتهُ سنة ٤١٠ ودُفن في المدائن

١) عُقد هذا المجمع بحضور اربعين اسقفاً في عيد الدنح سنة ٤١٠ فتلوا اوّلًا رسالة اساقفة المغرب وهم فرفوريوس بطريرك انطاكية (٤٠٤–٤١٣) وأقاق اسقف حلب (٣٧٩–٤٣٦) وفقيدا اسقف الرها (٣٩٨–٤٠٩) واوسابيوس اسقف تلّا واقاق اسقف آمد . ثم ايّدوا قوانين المجمع النيقاوي وأبرموا الحرم على من لا يعمل بموجبها . ثم سنّوا هم ايضاً واحداً وعشرين قانوناً وورد في القانون ١٢ منها ما شرحهُ : « في الاكرام الواجب للجاثليق الجالس على كرسيّ سليق وقطسفون (المدائن) . قال الاساقفة : اننا نحن اساقفة المشرق وخلفاءنا يجب ان نخضع للجاثليق رئيس الاساقفة مطران سليق وقطسفون في كلّ ما يأمره ويفرضه » ونصّوا في القانون ٢١ ما شرحه : « اوّل الكراسي وأقدمها هو كرسيّ سليق وقطسفون (المدائن) وصاحبه هو اوّل المطارنة ورئيس جميع الاساقفة ويليهِ مطران كشكر الذي . يحقّ لهُ ان يجلس الى يمينهِ ويتولّى خدمته ويدبّر كرسيّهِ بعد وفاتهِ . ويليهِ مطران بيث لاباط قاعدة الاهواز فمطران نصيبين فمطران البصرة فمطران اربيل وحدياب فمطران باجرمي . . .

١٧ «آحا» او أخي . دُعي كذلك لانهُ كان يكرّر هذه الكلمة في خطبِهِ . وكان معلّماً فاضلًا ورعاً مثابرًا على الصوم والصلاة محبًا للغرباء . ونُصب جاثليقاً بمساعي مار ماروثا. وأوفده يزدجرد الملك الى فارس ليبحث عن امتعة ثمينة وجواهر كريمة كانت حُملت اليه من الهند والصين فسلبها اللصوص واحتووا عليها . فقام الجاثليق بهذه الخدمة خير القيام فازداد من ثمَّ حظوةً في عين الملك وأحسن معاملته . واستفرص آحا فرصة وجوده في فارس فنقل اخبار الشهداء الذين قُتلوا ثَمَّ في عهد شابور وكتب سيرة مار عبدا معلّمه . وطالت رئاستهُ اربعة اعوام وبضعة اشهر

١٨ «يهبالاها» اي عطاء الله . خلف سالفه سنة ٤١٥ واستأثر بالنسك والقنوت فشاد ديرًا في قرية دسكرة بارض بابل وابتنى ديرًا آخر على شاطئ دجلة وأمر الرهبان ان يتلوا المزامير تباعاً دون انقطاع . وفي السنة الثالثة لحبريّته أوفده يزدجرد الملك في تحفٍ وتقادمٍ الى ثاودسيوس الثاني ملك الروم (٤٠٨—٤٥٠) تجديداً لعهود الصلح بين الدولتين . فأكرم القيصر وفادتهُ وأسنى لهُ العطاء . فجدّد كنيسة المدائن ورمم غيرها من الكنائس . وعام ٤١٩ أوفد اليه هذا القيصر صحبة اقاق اسقف آمد كنيسةً جميلة ينقلها معهُ في أسفاره وكانت مصنوعة من جلود مغشّاة من داخل بالذهب والفضّة وموشّحة بالانسجة الثمينة . وعقد يهبالاها مجمعاً في المدائن سنة ٤٢٠ حضرهُ اثنا عشر اسقفاً أيدوا فيه قوانين مجمع مار اسحق وقوانين المجامع التي عُقدت في المغرب . وانتقل الجاثليق الى جوار ربّهِ سنة ٤٢٠

١٩ «معنا» هذا أسنى لمهرشابور القائد الفارسيّ أموالًا طائلةً . فسعى بنصبهِ جاثليقاً . وكان خبيرًا بالفارسيَّة والسريانيَّة واليونانيَّة . تلقّى العلوم في مدرسة الرها ونقل كتباً شتى من السريانيَّة الى الفارسيَّة . غير ان يزدجرد الملك خلعهُ ونفاه الى فارس لانهُ دافع عن القس نرسي الشهيد

٢٠ «فربوخت» تسقّف على كزرون واشتهر بتمرّدهِ على سالفهِ . ولمّا نُفي الى فارس تقدّم الى مهرشابور المذكور بالهدايا والى بعض الاساقفة بالرشوة فرقّوه الى كرسي المدائن . بيد ان بقيّة الاساقفة استاءوا منه ورافعوهُ الى بهرام الملك فخلعه سنة ٤٢١

٢١ «دَديشوع» نصبه جاثليقاً شمونيل اسقف طوس بمشورة بهرام الملك

فعاكسه احد عشر اسقفاً واضطرّوا بهرام فأوثقه وضيّق عليه وعلى النصارى وقوّض بيعاً وديورة كثيرة. ولم يُفرج عنه الّا بعد عقد الصلح بينه وبين الروم. بيد ان خصوم الجاثليق استرسلوا في الشغب والنزاع وادّعوا انه خرم الشرائع وتعاطى الربا والرشوة فضاق ذرعُ الجاثليق عن الدفاع عن نفسه فاستعفى وانفرد في الحيرة. فأرمض ذلك مشايعيه وهم ستة عشر اسقفاً وبادروا اليه يلحّون عليه في الرجوع الى كرسيّه. فأخذ الجاثليق يعدّد لهم ما أصابه من النوائب والرزايا الى ان قال: « دعوني أرثي جراحات الكنيسة وأندب دناءة اولادها وهلاكهم » فخرّوا على قدميه متوسّلين اليه ان يعود الى المدائن فاجاب الى طلبتهم وعاد معهم واستلم الرئاسة حتى عام ٤٥٦ وطالت مدّته خمساً وثلاثين سنة. ومذ ذاك حتم اساقفة الشرق ان لا يرافعوا الجاثليق الى بطاركة المغرب وان لا يعقدوا مجمعاً لمحاكمته

واستُشهد في تلك الغضون خلقٌ كثير أخصّهم مار عبدا الاسقف ورفاقه الاربعمائة والعشرون ومار يعقوب المقطّع في ٢٧ تشرين الثاني ٤٢١ وهرمزد وطاطاق الجديابي. واستشهد بعدهم اساقفة وجماهير من المسيحيّين أناف عددهم على المائة والثلاثين الفاً. اشهرهم يوحنا ومارون الاسقفان وبثيون الذي تكلّل يوم الاربعاء ٢٥ تشرين الاوّل ٤٤٦

وظهر آنئذٍ نسطور بطريرك القسطنطينيّة سنة ٤٢٨ الموصوف بالتصلّف والعُجب وزعم ان في طبيعتَي السيّد المسيح اقنومين لشخصٍ واحد وأنّ مريم العذراء عليها السلام ليست امّ الله بل امّ المسيح. فعقد الاساقفة مجمعاً مسكونيّاً في افسس سنة ٤٣١ وحرموهُ وعزلوه. وقصّ آثارهم يوحنا بطريرك انطاكية فعقد مجمعاً في حلب سنة ٤٣٢ حضرهُ جميع اساقفة المشرق وأيدوا حرم نسطور. وما لبث ان ثار النزاع بدهاء ديوسقورس خليفة مار قورلس في الكرسيّ الاسكندريّ سنة ٤٤٤ فعقد المجمع اللصّي بافسس ودافع عن اوطاخي الزاعم بالطبيعة الواحدة فالتأم الآباء في خلقيدونية عام ٤٥١ وأسقطوهُ وأيدوا ان في السيد المسيح طبيعتين من دون اختلاط ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال

ومنذ إذٍ قويت في الرها خاصّةً احزاب الزاعمين بالطبيعة الواحدة فطردوا منها نحو سنة ٤٥٧ كلاً من تحزّب لنسطور ولاسيا برصوما ومَعْنا ويوحنّان وبولس وفوسي

وابرهيم وميخا وعبشوطا فانهزموا ثانيتهم الى المشرق وصاروا اساقفة وجعلوا يُذيعون بدعة نسطور في أبرشياتهم وعضدهم برساي الذي فتح مدرسةً في نصيبين وبثَّ في طلبتها بدعة نسطور فأمست والحالة هـذه جميع الكنائس الخاضعة لمملكة الفرس نسطوريةً الّا كنيسة تكريت دون ما سواها

٢٢ ❊ بابويه ❊ وُلد مجوسيًا ثم نصَّرهُ احد رهبان دير مار عبدا بدور قني(١ وانقطع الى النسك وانصبَّ على الدرس . فالتأم اساقفة المشرق ونصبوه جاثليقًا سنة ٤٥٧ لكنَّ فيروز الملك قبض عليهِ واعتقلهُ سبع سنوات وسلب كنيستهُ . ولم يطلق سبيلهُ الّا بعد ما عادنه لاون ملك الروم سنة ٤٦٤ فاستبدَّ بابويهِ منذ ذاك بالرئاسة وتحامل على الاساقفة وعزل جملة منهم . فاستفحل الفساد وتفاقم الشرّ جدًّا وافضى الامر بالاكليرس النسطوريّ عامّةً الى اقتراف المنكرات فاغتنم المنوفستيُّون تلك الفرصة وبثُّوا مزاعمهم في فارس

فعقد برصوما مجمعًا مشؤومًا لصوصيًّا في بيث لافط بالاهواز عام ٤٨٤ حضرهُ تسعة اساقفة فحرموا المنوفستيِّين وعزلوا بابويهِ ورخَّصوا للاكليرس كافَّة ان يتزوَّجوا . فحنق عليهم الجاثليق واستحضر خمسة اساقفة الى المدائن فحرم برصوما وأتباعهُ وكتب الى زينون الملك رسالةً يشكو ما أصابه من الجور والعسف ويسأله ان يكتب الى فيروز الملك ليعدل عن مناصبته ومضايقته . فضبط برصوما الرسالة واوفدها الى فيروز فسخط على الجاثليق وعلّقه بالاصبع التي كان فيها الخاتم الذي ختم به تلك الرسالة وما زال كذلك حتى مات سنة ٤٨٤ وترأس ٢٧ سنةً

٢٣ ❊ اقاق ❊ تخرَّج في مدرسة الرها ولمّا استوى على كرسي المدائن عانده برصوما وأحزابهُ وأرادوهُ على ان يذهب مذهبهم فاطاعهم صاغرًا وعقدوا مجمعًا مؤلّفًا من ٢٥ اسقفًا في المدائن في شباط ٤٨٦ ولم يحضره برصوما مع أنهم دعوه ثلاث مرار . ورتّبوا ثلاثة بنود اولها في معاكسة السريان المنوفستيِّين والثاني في الرهبان والثالث في تأييد مجمع بيث لافط الذي حلَّل للاكليرس الزواج . وتوفّي اقاق سنة ٤٩٦ وفيها ايضًا توفّي برصوما على ما ذهب غير واحد من المؤرّخين

وعام ٤٩٩ اجتمع الرهبان السريان في دير مار متّى ونظموا اثنين وعشرين بندًا

---

١) ويقال دورقوني — ديرقوني بلدة الى يسار دجلة فوق بغداد على ثمانية كيلومترات منها

ظلّت محفوظة الى عهد ابن العبري

٢٤ ﴿باَبي﴾ نُصب جاثليقاً سنة ٤٩٧ وفي تشرين الثاني من تلك السنة اجتمع ستة وثلاثون اسقفاً من النساطرة وسنّوا قوانين لزواج الاكليرس وأذنوا للجثالقة والاساقفة ايضاً ان يتزوّجوا. وتوفي باَبي سنة ٥٠٣

واغتنم السريان المنوفستيون فرصة اختلاف اساقفة النساطرة وتباغضهم لبثّ تعليمهم في بلاد المشرق بمساعي إمامهم شمعون اسقف بيث ارشام بالمدائن. فقصد ملكَ الفرس واستأذنه في التطواف في ارض بابل وفارس لينشر فيها مذهبه. واستحصل من كلّ بلدة قصدَها مضابط ختمها اليونان والارمن والسريان تتضمّن رفض مذهب نسطور. وعاد بها الى كسرى فأيّدها بختمه ودفعها اليه. وفرضها في تكريت لان أهلها كانوا من أشدّ المعاكسين لارتقة نسطور ومفاسد برصوما. ولم يكن حين ذاك اسقف للمنوفستيّين في المشرق سوى قاديس اسقف سنجار

٢٥ ﴿شيلا﴾ خلف بابي سنة ٥٠٣ بمساعي بوزاق اسقف الاهواز. ولمّا تولّى شيلا الرئاسة نازع السريان المنوفستيّين ونفاهم من بلاد الفرس فناضل عنهم زينون وانسطاس (٤٩١–٥١٥) الملكان وساعداهم. ولمّا ملك يوسطينوس الاوّل سنة ٥١٨ضيّق على السريان فقصد نخبةٌ منهم وفي مقدّمتهم شمعون الارشامي بلادَ الفرس والحيرة فعضدهم الحجّاج بن قيس الحيريّ صاحب المنذر بن النعمان ملك الحيرة واجتذبوا جماعة من العرب الى مذهبهم. فشقّ ذلك على رؤساء النساطرة وادّعوا بأن المنوفستيّين متحزّبون للروم. فقبض ملك الفرس على شمعون واصحابه واعتقلهم في نصيبين مدّة سبع سنوات. وتوفي شيلا الجاثليق سنة ٥٢٣

٢٦ ﴿اليشع﴾ كان صهرَ سالفه وقبل ان يتوفّى شيلا حَموهُ أوصى الاساقفة ان ينصبوه جاثليقاً. لكن قوماً اصطفوه وفريقاً رفضوه واختاروا نرسي بدلاً منهُ. فتحزّب بيرون الطبيب لأليشع وبوزاقُ اسقف الاهواز لنرسي. وفي نيسان ٥٢٤ نُصب اليشع جاثليقاً وعلى اثر رسامته نُصب نرسي ايضاً فاستحكمت الفتنة بين الفريقين وجعل كلّ منهما يرسم اساقفة على حدة فصار لكل كنيسة اسقفان. ثم تغلّب اليشع على نرسي وسجنه مع جماعة من حزبه. وما عتّم ان أطلقهم كسرى انوشروان. ولمّا توفي نرسي سنة ٥٣٧ سأل اليشعُ كسرى ان يؤيّده في كرسيّه فرفض

الملك طلبتهُ وعزله ونصب بولسَ اسقف الاهواز بدلًا منه

٢٧ ﴿بولس الاوَّل﴾ سُمي جاثليقاً سنة ٥٣٧ بأمر كسرى انوشروان . وما لبث ان حلَّت وفاته سنة ٥٣٩ او سنة ٥٣٨

٢٨ ﴿آبا﴾ درس العلوم في نصيبين والرها ونبغ في اليونانيَّة والسريانيَّة والفارسيَّة وسار الى بلاد الروم سنة ٥٣٢ وفاوض سرجيس الراسعَيني الفيلسوف والطبيب المشهور في مسألة الاعتقاد . وكان سرجيس صحيح المعتقَد قاوم المنوفستيَّة وانطلق الى انطاكية سنة ٥٣٥ وسار الى رومية وسعى لدى اغابيط البابا بطرد المنوفستيّين اجمع من القسطنطينيَّة

امَّا آبا فلمَّا عاد الى نصيبين فالمدائن وفتح فيها مدرسةً أحبَّه كسرى والنصارى بلفيفهم واختاروهُ جاثليقاً فرُقي الى كرسيِّ المدائن سنة ٥٤٠ . وتعهَّد الابرشيَّات النسطوريَّة وأصلح ذات البين المستحكمة عراها بين الاساقفة ثم انقلب الى المدائن سنة ٥٤١ فكلّفهُ كسرى ان يرافقه في الحرب فتمنع فاضمر لهُ الحقد ونفاه الى اذربيجان وبعد سبعة اعوام عاد الى المدائن. ثم أُلقي في السجن واستاقه كسرى سنة ٥٤٩ الى اذربيجان ثانيةً ثم رجع معه الى المدائن ثم سيَّره الى الاهواز سنة ٥٥١ وتوفي اخيرًا في المدائن في ٢٩ شباط ٥٥٢ . ولهُ تآليف اجلّها رسائلهُ الستّ التي صنَّفها سنة ٥٤٤ ونشرها الاب شابو (l'abbé Chabot) في باريس

٢٩ ﴿يوسف الاوَّل﴾ هذا زاول الطبَّ في بلاد الروم وعالج كسرى فأبرأه . وفي أيار ٥٥٢ رُقي بامره الى كرسيِّ المدائن فطغى وبغا وتجبَّر على الاساقفة واسترسل في الاساءة اليهم حتى انهُ ألقى في رقابهم رَسَناً وابتنى لهم معلفاً وأرادهم على اعتلاف الشعير كالبهائم ثم حلق رؤوسهم واعمل فيهم الصفع . فاجتمع سائر الاساقفة وعزلوه في شباط ٥٦٧ وتوفي سنة ٥٧٠

٣٠ ﴿حزقيال﴾ خلفَ سالفهُ بعد موته واستصحبه كسرى في رحلاته فسافر معه الى نصيبين ودارا سنة ٥٧٣ يوم نشبت الحرب بينهُ وبين الروم . ولمَّا عاد الى المدائن عقد مجمعاً سنة ٥٧٦ حضره ثلاثة مطارنة وسبعة وعشرون اسقفاً وسنّوا ٣٩ قانوناً اوَّلها في دحض ارتقة الرهبان المصلّين الذين كانوا بحجَّة صلواتهم الطويلة

يسترسلون في الفساد والقبائح (١). وقضى حزقيال الجاثليق نحبهُ سنة ٥٨١.

الى هنا ما سطَّره ُ ابن العبري عن جثالقة المشرق واستلي قائلاً: وفي تلك الغضون نُصب يعقوب البرادعي (+ ٥٧٨) اسقف الرها مطراناً مسكونياً اي عمومياً على سريان المشرق والمغرب معاً فتوجَّه الى بلاد المشرق ونصب آحادامه مطراناً

(لها بقية)

كتابي

بقلم فؤاد افرام البستاني احد تلامذة الخطابة في كليتنا

لحا الله قوماً يرون ولاينظرون، ويسمعون ولا يَعُون، ويقرأون ولايفقهون. . آلاتٌ متحركة يحمل الواحد منهم كتاباً فيقرأ سطوره ُ ويخفى عليهِ ما بين تلك السطور . . . يَنهى منهُ الصفحة فتنتهي افكارهُ مع آخر كلمة منها . . .

قرأتُ كتابي، ثمَّ قرأتهُ، وقرأته. وقد قرأهُ الكثيرون قبلي فلم يروا فيهِ ما رأيت. رأوا طبعاً حسناً وقطَعاً متناسقة فشُغفوا بها ولم يمتدَّ بهم النظر الى ما وراء ذلك ما لنا ولهم، لِندع ما رأوا ونأخذ ما رأيت. فدونكموهُ:

كتابي واضحُ العبارة، الهيّ الافكار، سامي التعاليم، ينقر على اوتار القلب فيولّد منها انغاماً تتّحد بنفس القارئ الفهيم فتؤالف مرطباً منعشاً

هو معزّي نفسي التعِسة في اشدّ احزانها، ومُسلّي روحي الحزينة آن تنقطع السلوى

هو موضع سرّي، ومحطُّ ثقتي، حين تُباح الاسرار وتُفقد الثقة بين الناس

هو صديقي الامين، ورفيقي الرؤوف، وصاحبي المُخلص، اتّكل عليهِ اذا ما

---

١) ظهرت بدعة المصلّين في ديورة الرها منذ القرن الرابع وكانوا يجوبون المدن والقرى متظاهرين بالنسك والتقشف ويجمعون المال ويرتكبون الفجور تحت ستر الليل. وانتشرت بدعتهم هذه خاصةً في سنجار في القرن السادس ثم امتدت الى حَدياب وملحقاتها في القرن السابع

توترت اواصر الصحبة ، وساءت الرفقة ، وعزت الصداقة

كتابي ، امينُ سرّي اخلو اليهِ في الليالي الدهماء فيقشع عن قلبي ظلامها ويُظهر امامي النور الساطع . اسأله واستفهمهُ كاشفاً له جهلي العميق ، فلا يشمت بي ، ولا ينفر مني ، بل يعطف عليَّ بحنو ، ويُلقنني اهمّ ما يراه المرء في القلب البشري . يسير بي بين مَهامهِ اخلاق الانسان ، فيجلو المظلمَ ، وينير المدلهمَّ ، ويدلّني على أمثل طريق ، وأقوم سبيل يسلكها المستفيد بين هواجس الفكر البشري واميالهِ المتشعبة

تشمئز نفسي من معاشرة الناس فأسكن اليهِ شارحاً سوء حالي فيبدّد همّي ، ويخفف اوجاعي ، ويُوسع صدري قائلاً : « أحِبّ عدوّك ، وأحسن الى مَن يُبغضك ، وصلِّ لاجل من يُعنتك »

يضيق صدري من كفران الناس فاشكو لهُ همّي فيبسم لي ويعلّمني عمل الخير دون انتظار الجميل قائلاً : « من سألك فأعطهِ ، ومن أراد ان يقترض منك فلا تمنعه ، ومن رام ان يأخذ ثوبك فخلِّ لهُ رداءك ايضاً »

يُسيء اليَّ قريبي فأستشيط غيظاً وارغب فرصةً أوقع بهِ فيها ثم استشير كتابي فيقول : « اذا خطئ اليك اخوك سبع مرّات في اليوم ورجع اليك سبع مرات فاغفر لهُ . لا تَدِنهُ لئلّا تُدان . ولا تقاوم الشرير بل من لطمك على خدك الايمن فحوّل الآخر »

ذلك هو كتابي وفيهِ بلسم جراحي العديدة

استشيره اذا ما اردتُ امرًا ، او قصدتُ عملاً ، فيبسط لديَّ ، بكل سرور ، كل ما يعلمهُ ويهديني الى سواء السبيل غير عارف للمنّ معنًى

أطارحهُ بعض الاحيان ، فيظلّ باسماً مظهرًا وراء وجههِ المجعّد بالاسود من تأثير الهموم ، قلباً انقى من الفضّة ولساناً احلى من العسل

كتابي صديق يصمت اذا تركتهُ بل ينطق في سكوتهِ ، ويجيب اذا سألتهُ ، ولا يغضب اذا لمتهُ

انّى لي مثل هذا الصديق بين الناس وانا

« كم صاحبٍ حرصاً على ودّهِ   طلبتُ ان يغفر لي ذنبهُ »

...

هذا كتابي الصامت وليت لي كتاباً ناطقاً بين افراد الناس بل ليت لافراد الناس كتاباً صامتاً مثل كتابي

وان شئتَ زيادةً في تعريفهِ قلت: هو كتاب البشريّة جمعاء ، كتاب كل الازمنة وكلّ الامكنة ، ولا حاجة الى اضافةٍ في نعتهِ لانهُ وحدهُ هو «الكتاب» وبهِ دعاهُ الغرب (La Bible) او قل «الكتاب المقدَّس»

الكشّافة

نظر تاريخي اجتماعي لحضرة القس بطرس ساره الراهب اللبناني

توطئة

لا اجمل من ان نرى ابناء هذا الوطن المحبوب يرغبون في الاقتداء بما في التمدُّن العصري الاوربي من حسَن ومفيد مُعرضين عمّا هنالك من المضارّ الوبيلة القاضية على حياتنا الاقتصادية والادبية

يسرّنا وأيمُ الحقّ ان نجد نُخبةً من ناشئتنا المحبوبة تربّي فيها شاعرة الوطنيّة الحيَّة وتعيد لنا مبادئها الحسنة واخلاقها الطيبة ذكر اولئك الابطال الذين تفانوا في حبّ وطنهم وصانوا وديعة ايمانهم وحرمة آدابهم . عنيتُ بهم تلك الفئة التي شابهت النحلة التي لا تقع الّا على الزهر لتجني منه العسل فتنتقي من هذا التمدُّن ما هو صالح ومفيد وتعرض عن كل ما هو موبئ مضرّ ملازمةً خطّةَ الاعتدال في كل شيء

على هذه الخطة تسير فئات منتخَبة من الشبان والفتيان في اكثر الممالك ممَّن تمسَّكوا باشرف المبادئ واقومها يُدعَون بالكشّافة يقتصّ اليوم آثارهم فئةٌ من شباننا وفتياننا النجباء الذين بهم بدأت تباشير الكشّافة تظهر في هذه البلاد فانَّها

وان تكن بعدُ في مهدها فهي بما فيها من روح وطنية وغاية شريفة لخير النفس والجسد ونفع الفرد والأمّة تُبشّر بحُسن المستقبل وتبعث ما فينا من ميت الامل . هذا اذا فقهتَ غاية وضعها ورُوعِيَتْ فيها القوانين والشروط الضامنة نجاحها وخير البلاد التي تنشأ هي فيه

فعلى هذا الامل وخشية ان نلهو بالقشور عن اللبّ اذ نحن مولعون بكل جديد . نقول كلمةً موجزة في اصل الكشّافة وتعريفها اولاً . وفي غايتها ومنافعها ثانياً . وفي أفضليّة الكشافة الكاثوليكية على سواها ثالثاً

١ اصل الكشّافة وحدُّها

الكشافة بصيغة المبالغة رائدُ الجيش او طليعتهُ وهي تعريب الكلمة الإفرنسيَّة (Eclaireur) واللفظة الوضعية القديمة سكَوْت (Scout) ومنها السكوتسم (Scoutisme) من الفعل (Escouter) او (Ecouter) اي أصغى وترصّد كأنّ الكشافة من شأنهِ ان يكون متحفزًا ومُصغياً لكل ما يقال لهُ وما يؤمر بهِ وبهذا المعنى تكون طريقة الكشافة قديمة العهد ترتقي الى الاجيال الوسطى وتُطلَق على الفرسان الموقوفين على خدمة بلادهم والمتفانين غيرةً في خير وطنهم فهم حُماتهُ وطلائعهُ . ولفظ سكَوْت اي الكشافة نُقل الى الانكليزية واصبح أصيلًا فيها وكان الانكليز هم السابقين الى بَعْث هذه الفكرة من مدفن الاعصر الخوالي ووضعها بالعمل بصورتها الحالية ويسمُّون العضوَ فيها بُوي سكوت (Boy-Scout) . على ان فكرة السكوتسم الكشافة هي كما قلنا فكرةٌ قديمة من ميزات الديانة المسيحية وهي بالاخص كاثوليكية في اصلها القديم فحقٌ لأبناء الكنيسة في هذا الجيل ان يكونوا السابقين اليها والمتفوّقين فيها اذ ان غايتها ومبادئها تُطابق المطابقة التامّة تعاليم الكنيسة . وروحُها روحُ المحبة والمفاداة . وقد انتشرت في المسكونة كلها فهي تضمُّ اليوم تحت لوائها فوق المليونَين من الشبان والفتيان على اختلاف النِحَل والمذاهب من كل كريم النفس ذكي الفؤاد حزوم شجاع

اما الفضل في ايقاظ تلك الفكرة المسيحية الشريفة من رقادها في هذا العصر فعائد الى السير بادين بويل (Baden-Powell) الانكليزي فان هذا الباسل على

اثر رجوعهِ من حرب الترنسفال حوالي سنة ١٩٠٨ ألف جماعةَ البوي سكوت من ٢٥ عضواً . فلا يكون للكشافة بهيئتها الحاضرة في عالم الوجود اكثر من خمس عشرة سنة بعد نشأتها في انكلترة . وكانت غاية منشئها تمرينَ المنخرطين في سلكها وشحذ قواهم المادّيّة والعقلية لكي يستقبلوا جميع طوارئ الايام وحدثانها بالبأس والشدة وان يروّض اخلاقهم بتربيةٍ تُنظم قواهم الادبيَّة اذ تجعلها قيد الضمير والشرف

ولمّا خبَرَ العارفون ما في هذه الطريقة من جليل الفوائد سعوا في نشرها وتعزيزها بين اظهرُ مواطنيهم فهي تكاد تكون شاملة اعظم الدول كفرنسة وانكلترة واميركة والمانية وايطالية وبلجكة وغيرها . وقد حدَّها القائد الافرنسي مودهوي (Maud-huy) المشهور بعلم الاخلاق والتدريب على طرق الحياة قال :

« ليست الكشّافة بجماعة مصارعين فانه وان كان فيها جريٌ وركضٌ وقفز وملاكمة وحركة او تمارين عسكرية فليست غايتها المصارعة ولا هي مدرسة اعدادية حربيَّة بل هي قبل كل شيء طريقة تهذيبيَّة عمليَّة ممتازة لوحدها يتعلمها الانسان ليتدبَّر في الحياة ويعمل بروح التفاني على تدبير غيره ومساعدته »

فهذا التدبير الذي يستلزم مرونةً في الجسم وحذاقــة في العقل يوجب في الوقت نفسهِ ان يتوفَّر لجماعــة الكشافين جميع وسائل الحيــاة بحيث يكون منهم اناس اختصاصيُّون عارفون ببعض الصناعات والمهن اللازمة للمعيشة كالتمريض والتطبيب والتصوير والنجارة والخياطة والطبخ الى غير ذلك من الصناعات والمعارف الضامنــة حياة الانسان وارتقاءهُ في المجتمع الانسانيّ

٢ً غاية الكشَّافة وفوائدها

ان سنَّة الارتقــاء من طبع الكائنات بوجه العموم بها تُقبل الى غاية كمالهــا ببقاء الأصلح منها متوالدةً حيًّا عن حي . على ان الانسان العاقل النازع الى الكمال احقُّ ان يتمشَّى على تلك السنة الطبيعية فيبحث في كل ما حواليهِ ويميز في الاشخاص والاشياء غثَّها من سمينها وأصلحها واثبتها من فاسدها ودائرها فيعزل كلَّ ما هو فاسد ناقص ويحتفظ بما هو صالح كامل . هذه السنّة معمول بها في النظامين الادبي والمادّي نافذة الحكم في الجماعات كما ان حكمهــا نافذ في الافراد . ولــذلك فالأمّة التي تضطرب شؤونها وتهوي الى الانحطاط والدمار لايستقيم لها حال ولا تستطيع الحفاظ

على كيانها الّا بمساعدة نخبة من المصلحين المهذَّبين تعتمدهم في تدبير شؤونها وتقويم اعوجاجها. على هذه الخطة يسير حكماء الناس وعقلاؤهم في كل أمّة احتاجت الى الاصلاح وطلبت الارتقاء. وهذه غاية واضعي اساس الكشافة في انتقائهم نخبة من الفتيان ليعلّموهم الحكم على اجسادهم ونفوسهم حتى اذا تمكنوا من ان يحكموا ذواتهم كانوا صالحين لخدمة وطنهم ونفع بلادهم وترقية الشعوب الـذين يعيشون بين أظهُرهم

وهذه الغاية اي السيادة على النفس والجسم يبلغها الكشافة بواسطتين همـا من اقوى الوسائل واصلحها اردتُ بهما الرياضة البدنيَّة والرياضةالنفسيَّة فانهما من أمسّ ما يحتاج اليه المرء في معترك هذه الحياة اذ هو مركب من الروح والمادَّة

﴿ الرياضة البدنيَّة ﴾ فالرياضة البدنيَّة وقوامها الحركة وتشغيل عضلات الجسم بتكرار الافعال والتمارين اليوميَّة لا أفيَدَ منهـا ولاسيما لمن كانت حالتهم او مهنتهم تقضي عليهم بالجلوس الطويل كالدارس والكاتب والصانع والحائك والخيّاط وامثالهم وقد خبَرَ الطبّ اهميّتها وعظم فوائدها فجعلها من القوانين الصحّيَّة وكثيرًا ما وصفها دواء شافياً من بعض الاوبئة التي استعصى شفاؤها بالعقاقير . قال بعضهم : افتح ندوةً للالعاب تستغن عن مستشفى . وقال الحكيم ابن سينا : ان تارك الرياضة كثيرًا ما يقع في الدقّ اي السلّ

لقد احكم اذن واضعو قانون الكشّافة بجعلهم الرياضة شرطاً لازماً لها وقد عرفوا ان للعمل والحركة ضمن حدود الاعتدال ما عدا المنافع الاقتصادية فوائـدَ جمَّة لا يستغني عنها عضو الكشافة ليكون رجلًا نشيطاً قوياً صبورًا على نوائب الحياة ومشاقّها لان بالعمل والرياضة القوَّةَ والنشاط وصيانة الآداب والاخلاق. وما البطالة سوى بيئة الرذيلة وما الرذيلة الّا آفة الصحّة . واذا اخذنا الرياضة باتّساع معناها من دون ان نحصرها بقانون بعض التمارين المنظَّمة تناولَت جميع الاعمال اليدوية وبعض الصناعات المستلزمة حركة البدن كلّه مثل الزراعة والبناء والحدادة وغيرها وضمّت ايضاً بعض العادات اللبنانيَّة القديمة كدقّ الاجراس ورفع الاثقـال (القبيات) ولعب الجريد او السباق والفروسة ولعب « الفشخة وقمزة » وغيرها من الالعاب المفيدة اذا لزمت حدّ الاعتدال

صورة بعض اعضاء الكشافة في تمارينهم

فبفضل هذه الرياضة يكون الكشّافة بمأمن من امراض كثيرة ويزداد نشاطاً وقوّة وعزماً اذ يصبح الجسم اقلّ قبولاً للاوبئة واشدّ مقاومةً لها . كما بيّن ذلك في الفصل الحادي عشر من كتابهِ علم الصحّة النطاسيُّ الفاضل الشيخ امين الجميّل فانه بما فيهِ من مقدرة علميَّة وغيرة وطنيَّة وروح طيّبة يفصّل بالاسهاب انواع الرياضة ويذكر شروطها ومنافعها ومضارّ تركها

على ان غاية الكشّافة من الرياضة انما هي احكام العمل واتقانهُ وصيرورتهُ ملكةً صالحة تُقبل بصاحبها الى مباشرة اجلّ الخدم وتقويه على اقتحام المخاطر من دون تكلُّف ولا صعوبة لاجل القيام بالواجب فيكون الشغل والعمل اليفهُ وخدينهُ كيفما اتّجه شعارهُ «كن مستعداً»

﴿ رياضة النفس ﴾ وليس يكتفي قانون الكشّافة بالرياضة البدنيَّة وحدها مقتصراً على بعض التمارين والالعاب فهذه وان تكن من مميزاتهِ ولها فوائدها كما قدَّمنا فلا تقوم مع ذلك بالغاية الاولية المقصودة التي هي حسن السلوك والتدبير وتقويم الافعال بمطابقتها لقاعدة الآداب . فليس لتلك التمارين على لزومها ومنافعها الجمة من تأثير على هذه القاعدة اذ لا علاقة لها بالخير والشرّ بل هي مجرَّدة عنها فتكون الغاية الاولى للكشّافة كما قلنا ترويض قوى النفس الداخلية بتهذيب الارادة

والاخلاق. ولمّا رأى منشئو طريقة الكشافة ان الوسيلة الاولى اي الرياضة البدنية قاصرة وحدها عن ذلك الغرض المهمّ وعرفوا ان مثل تلك الالعاب والحركات تشغل الافكار بما فيها من رونق ولذّة عن الغاية التي يقصدونها قيّدوها بالرياضة النفسيّة التي هي اهمّ وانفع

فكما ان رياضة البدن تقوي العضلات وتنشط الجسم وتجلب الصحة كذلك رياضة النفس فانها تثقف العقل وتهذّب الارادة وتقوّم اميال القلب وبذلك يتمّ ترقي الفرد وبه الجماعات والشعوب. فيكون مقياس ارتقاء الشعوب بمقياس ترويض اخلاقهم وتهذيبهم. والانسان كما يقال بأصغرَيه قلبه ولسانه كذلك الأُمم باخلاقها. فان فسدت فيها الاخلاق سقطت من سلّم التمدّن الحقيقي الى دركات الهمجية كما قال الشاعر :

وانما الامم الاخلاقُ ان بقيَتْ وان هم ُ ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وهذا يؤكده الاختبار في كل جيل. فلا بد اذن من ان تُقرَن الرياضة البدنية بترويض قوى النفس فيروّض العقل بالبحث والدرس فيأتي من الاكتشافات بالمعجزات والغرائب مما يدلّ على انه نسمةٌ من حكمة الله وتروض الارادة بتمرينها على الفضائل الادبية والمسيحية من صبر وقناعة ووداعة وطهارة. وترويض القلب يكون بتعديل عواطفهِ ولجم امياله بحكمة العقل والدين ويُجعل اساس هذه الرياضة معرفة الخالق مصدر كل علم ونور واصل سعادة الانسان

ومثل هذه الرياضة تضمن طهارة الافكار والعواطف وتجلب طمأنينة الضمير وهما لازمتان للنفس والجسم لزوم نظافة الهواء والماء للحياة. ومتى تروّضت الاخلاق وتهذّبت الطباع كان الانسان سعيدًا رغيدًا نافعاً لنفسهِ ولابناء جنسهِ. الى هذه ترمي جماعة الكشافة بما في قلب شبيبتها من نخوة وحمية كما يتبين لك من هذه الوصايا العشر بهذا الجدول :

١ ان الكشافة يعدّ استحقاقه ثقةَ الناس شرفاً وسيماً
٢ يبرّ ببلادهِ وبوالديهِ وبرؤسائهِ ومرؤوسيهِ
٣ مهنة الكشافة ان يخدم القريب ويخلّصهُ
٤ الكشافة صديق الجميع واخ لكل كشافة

٥ الكشافة انيسٌ شجاع
٦ الكشافة يتمثل الله في الطبيعة فيحب المزدرعات والماشية
٧ الكشافة يطيع بلا تردُّد ولا يدع عملهُ ناقصاً
٨ الكشافة رضيُّ الاخلاق مالك نفسه
٩ الكشافة مقتصدٌ ومعتنٍ بخير قريبهِ
١٠ الكشافة طاهر الافكار والاقوال والافعال

ففي نقدنا هذه الوصايا نرى انها ضامنة سعادة الفرد والمجتمع وان لا احوج منَّا ومن كل عاقل الى حفظها ووضعها بالعمل ٠ على انها ليست بالشيء الجديد فإنْ هي الّا صورة منقولة عمَّا تتضمَّنهُ وصايا الله العشر من واجبات الانسان نحو ربّهِ ونفسهِ وقريبهِ فهي من هذا الوجه مُلزِمة كل عاقل حكيم ووطني غيور ٠ فبحسب هذه الوصايا يكون الكشافة شهماً زكيًا صادقاً مخلصاً طاهر الذيل خدوماً عاملاً باسلاً وديعاً مطيعاً مقتصداً قريباً ومحبوباً من الله ٠ وقد أطلقت الكشافة على كل جماعة خيرية تتفانى في خدمة الانسانية ورائدها الدين والوطن وقد لُقِّب بها الصليبيُّون قديمًا وفرسان القديس يوحنا ٠ كما انهُ يمكننا اطلاق لفظ الكشافة من حيث غايتها الاصليَّة الاولية على كل جماعة رهبانيَّة عاملة على مجد الله وخير القريب

الكشافة والدين

ومن هنا تبيَّن ان الكشافة لازمة الدين لا تنفكُّ عنهُ ولا يكون لها قيام وثبات من دونهِ وكيف يمكنها ان تقوم بلا دين وهي تتوخَّى الفضيلة وعمل الخير بطريق الاخلاص والتفاني ٠ وهذا يستلزم الكفران بالذات وبالمصلحة الشخصية في سبيل الخير العام ٠ أجل ان التقيُّد بالوصايا التي ذكرناها إنَّما يساعد على ذلك لكنهُ لا يكفل النجاح والثبات فان منها ما يلجم اميال الطبيعة ومنها ما يجذبها ويتملقها فتكون بذاتها قاصرة عن الزام الارادة وعن ان تقبل بها الى الغرض المطلوب فالوصيتان الثالثة والرابعة وموضوعهما الخدمة والمحبة المخلصة تحملان الكشافة على ان لا يدع يوماً يمرُّ دون عارفة يأتيها من باب المحبة المجرَّدة ٠ غير ان عمل الخير لا يكون مضموناً ومطَّردًا ما لم تكن في الكشافة ملكة بها يكون ضابطاً نفسه وسائدًا على اميالهِ ٠ ولذلك وجب ان يكون مفتوحاً امامه كتاب الضمير والشرف يقرأ فيهِ لزوم

سلامة الاداب وتهذيب الاخلاق وهذا ما تضمنه لبُّ الوصايا الاربع الاخيرة من السابعة الى العاشرة ضمناً . وموضوعها الطاعة والتسلط على النفس والاقتصاد والطهارة

لكننا لسنا نتأكد هذه الضمانة اذا لم تستند الى دعامة دينيَّة وهذا ما يستلزمهُ مبدأ الكشافة كما يُستدل من هذه الابيات للشاعر الانكليزي ليلي بورن (Lily Burn) وقد نُقشت على صفيحة بعنوان « كشافة الطريق » وهي تمثّل المسيح ويداهُ الى كتف كشافةٍ يناديهِ ويهتمّ بتسديد خطواتهِ في جادَّة الحياة وهذا تعريبها بالحرف .

« مهلًا بُنيّ وارفع عينيك الى العلاء واستند اليَّ لترى طريقك ابسط يدك يا بني لتعرف هذه الطريق قف هادئاً ريثما يأتيك امري فاني انا الكشافة الرب الحضرة الالهية لا افارقك في كل حال » وها كها منظومةً :

ارفع بُنيَّ الى ربّ العلا البصرا وشدّ أزرك بي كي تبلغَ الوطرا
قف هادئاً ريثما يأتيك من لدني امرٌ انا ربُّك الكشافُ سرُّ الورا
ابسطْ يمينك تستكشفْ طريق هدى تسير فيها فلا تعثر بمَنْ عثرا
اني رفيقك أهديك السبيل فلا تخشَ المعاطب يوماً وأمنِ الخطرا

فمبدأ الكشافة اذن لازم للديانة غير منفكّ عنها بل هو من دونها كجسم بلا روح او طير بلا جناح او شجرة بلا ثمر فلا فائدة منهُ تُرجى . وقد فقه ضرورة هذا الامر واهميتهُ جميع منشئي خطة الكشافة الحكماء فجعلوه حجر الزاوية في بنايتهم . هذه السنة . والاختبارُ الوضعي الشاهد بهِ مليونان من اعضاء الكشافة المنبثين في انحاء المعمور يعلم ان الكشافة المؤمنة تجد في ايمانها قوَّة وعضدًا ادبيا يثبتها في مقاصدها الكبيرة ويذلّل لديها وعورة مسالك هذه الحياة فيفوق اعضاؤها غيرهم جرأةً واخلاصاً في عمل البرّ والصلاح . وهذا تعليلهُ ظاهر فان من مميزات الكشافة كما قلنا التفاني والاخلاص في الخدمة وهذا لا يتمّ لها ولا يثبت بغير الدين . لان روح التفاني المفهوم بهِ الكفران بالذات وتضحية النفع الخاص على مذبح الخير العام يستوجب قوة ارادةٍ عظيمة لا أضمن لها من الدين الذي يسمو بالانسان فوق هذا العالم المادي وينعش فيهِ الحياة الروحية المستمدَّة من تعليم يسوع المسيح رب التفاني ومنقذ البشرية فينصرف العامل الى العمل لغاية سامية منزهة عن المطالب البشرية البحتة ومرماهُ الخيرُ العامّ لا الخاصّ . وبهذا يقوم التفاني الحقيقي وحبّ الوطن كما

ظهر للملأ في القوّاد العظام والجنود البواسل المتدينين الذين خاضوا معامع الحرب الكونيّة دفاعاً عن وطنهم وأبلوا فيها البلاء الحسن وتفوّقوا بجرأتهم وتفانيهم على من سواهم وذهبت لهم شهرة عظيمة بين جميع الشعوب

ولهذا ترى جميع زعماء الكشافة الحكماء في اعظم الدول قد استندوا على تلك الدعامة المتينة لئلا يبنوا على اساس واهٍ. فان الجنرال الانكليزي بادين بويل المشار اليهِ اجتمع يوماً على اثر الهدنة في ٢١ تشرين الاول سنة ١٩١٨ في حفلة حافلة بالكشافة الافرنسية في قاعتها ولمّا نظر الى الاب كورنيت الذي عرفناهُ عمدةً في الكشافة الافرنسية قال لهُ: « اني شاكر لك يا حضرة الاب على حضورك هنا فانك تمثل لنا المبدأ الديني الذي اردتُ ان اجعلهُ اساساً لعملي »

وربَّ معترض يقول: « ان الكشافة تسلك بحسب ناموس الضمير والشرف فكفى بهما رادعَين عن كلّ مخالفة للقانون ووعدُ الحرّ دَين». فنجيب ان الضمير والشرف رادعان قويّان عن الشرّ فالضمير لهُ لواذعهُ يَنخس بهما عند كل زلة. والشرف له قيمتُهُ ومنزلته يربأ بصاحبه عن الدنايا غير ان الاول وهو فعلٌ باطني وقاعدة قريبة للافعال البشرية لا يمكنهُ ان يستقلّ عن المشترع الاسمى الذي هو الله فلا يكون مستقيماً صالحاً لقاعدة الاداب والمعاملات ألّا اذا كان مرتشداً بنور الايمان بالهٍ عادل يفحص القلوب ويجازي كلًّا بحسب اعمالهِ

أما الشرف مع تقديرنا شاعرته التي قلَّ مَن حفظها سليمةً كما هي فانهُ مهما كان مبلغ تأثيرهِ لا يتجاوز حدَّ اعتبار الناس الخارجي فيستند في الغالب على آرائهم العاليّة المتشعبة ويعتمدها في احكامهِ ومسائلهِ فلا يسلم بها من الاذى وكثيراً ما يُغضي الطرف عن اشياء مَلومة ويجيز اعمالًا مرذولة في نظر الضمير فيمتنع احياناً ممّا كان محموداً كريماً في عين العقل والدين اذ يتقيَّد باعتبارات وعادات بشرية لا خير فيها. واذا تجرَّدت شاعرة الشرف من الدين انكسف سناؤها واضمحلّت شيئاً فشيئاً. ولذلك نقول ان الشرف والضمير بمعزل عن الايمان لا يخرجان عن حيّز الطبيعة ولا يزالان متنازعَين بعوامل الاميال والاغراض تتسلّقهما في كل آن اللذة والشهوة وتجذبهما المنفعة الذاتية وتميل بهما مع كل ريح فيظلان قاصرَين عن ان يُنبّها الارادة الحرة في عمل الخير

فلا بد اذن لرأب هذا الصدع وملازمة السير في المنهج القويم من قوة فوق الطبيعة تتغلّب على ما فيها من النّزعات المنحرفة وتقوّم اعوجاجها اذا ارادت شذوذاً وما هذه القوة سوى الايمان بربّ يُثيب الفضيلة ويعاقب الرذيلة . فالضمير الصالح والشرف الحقيقي قائمان بالدين ولهذا قيل : الشرف من الدين ومَن لا دين لهُ لا شرف ولا ضمير لهُ . ولاجل هذا السبب سارت الكشافة الصالحة على قاعدتي الشرف والضمير مرتبطتين بالديانة الحقّة

الكشافة الكاثوليكية

ولمّا كانت الكشافة بمبادئها القوية مطابقة لروح المسيح والكنيسة او هي كما تقدّم الكلام فكرةٌ ناشئة من الديانة المسيحية وزهرة جميلة نابتة بين ازهار حقل الكنيسة الكاثوليكية في الاعصر الوسطى حرثها فرسانٌ اشدّاء وسقوها دماء جهادهم وغذوها روح بسالتهم وتفانيهم لهذا السبب هبَّ اليوم الوف من الفتيان والشبان الكاثوليك في جميع الانحاء الى احياء تلك الفكرة وإنعاش هاتيك الزهرة وهم اولى لهذه المهمة من سواهم . وقد ابت شجاعتهم ومروتهم ان يوقفهم في هذا السبيل عائق او يسبقهم في هذا المضمار سابق . فتألّفت منهم الكشافة فئةً فتيّةً نضرة متحدة القلب سبّاقة الى عمل الخير ورائدها الدين والآداب ومحبة الوطن ووقفت سدّاً منيعاً بوجه تيّار الكفر لمناهضة كل مكابر لا يرعى لشرائع الله حرمةً ولا يريد ان يتقيد بغير ناموس الحرية الكاذبة

فالكنيسة الكاثوليكية تُسَرّ ايَّ سرور اذ ترى نخبةً من ابنائها الفتيان الاشداء الازكياء ينضمّون تحت لواء الكشافة الكاثوليكية في كل صقع وبلد ليمثّلوا لمواطنيهم دور الفاداة والمحبة الحقيقية لربهم ولوطنهم . ذلك الشيء ما تتمناهُ الكنيسة ويرضاهُ الجالس بالفخر على سدتها البطرسية رأسها المنظور بيوس الحادي عشر وهذا اجمل ما يتعزّى بهِ قلبهُ الابوي في وسط شدائد هذه الايام ومرائرها

اجل ان قداستهُ ينظر بتمام الارتياح الى جماعات الكشافة تتألف في العواصم والمدن معتزلة كل سياسة مرتبطة بربط المحبة والاخاء زاهية زاهرة كما هي في انكلترا تحت رعاية الكردينال بورن رئيس اساقفة وستمنستر . وفي ايطاليا حيث اصبح

الكاثوليك من اصحاب النفوذ والسطوة قامت كشافتهم منظّمة الصفوف سالكةً بروح الانجيل على مبادئ الشرف والضمير لا تهاب الموت في الدفاع عن حياض الكنيسة والوطن ولا تكلّ عزيمتها في عمل الخير وخدمة الله والقريب. وكانت مثل هذه الكشافة في المانية.

أمّا في فرنسة التي لا تزال تذكر كونها ابنة الكنيسة فان الكشافة الكاثوليكية قد تألّفت عصبةً واحدة من عدة جماعات خيرية وعُرفت بتحالف الشركات الكاثوليكية وذلك بسعي القانوني الاب كورنيت يدير شؤونها رجال من الفئتين الاكليريكية والعالمية ممن اشتهروا بفضلهم وسعة معارفهم وهم من مؤسسي الجمعيات الخيرية او اعضاء الاكاديمية او من الاميرالية والجنرالية منهم الجنرال مودهوي (G^al Maud'-huy) عمدة المؤسسين وقد اثنت قداسة البابا بيوس الحادي عشر جماعتهم وباركها

فالكشافة الكاثوليكية وان تكن حديثة العهد بهيئتها الحاضرة فانها قديمة الايام في اصلها وتاريخها. وقد انتشرت اليوم انتشاراً سريعاً ولها الفوز على ما سواها بما فيها من ميزات في ادارتها وروحها تجديها فضلاً وثباتاً. فانها لا تكتفي بان تراعي شريعة الضمير والشرف بل تعتصم بالله ولا تحيد قيد شعرة عن وصاياهُ وتقوم بجميع واجباتها الدينية وهي تتقيد بوصايا شرف تسع ما عدا الوصايا العشر التي مرَّ ذكرها مّا يجعلها اشبه بجماعة رهبانية منها بعالميّة. وهذا ما توصي بهِ كل عضو من اعضائها :

١ لا تهمل الصلاة يوماً من الايام

٢ اسمع القداس مصلياً يوم الاحد اينما كنت وايّاً كنت

٣ اياك والكذب كن صادقاً مخلصاً في اعمالك واقوالك وتعلّم ان تكون مسؤولاً عنها

٤ لا يمسّنّك الخجل على اخفاء ما انت عليه بل كن فخوراً بهِ

٥ أطعْ لتتعلّم الخدمة فمن لا يطيع الّا نفسهُ لا يخدم غير نفسهِ وهو سواء والعدم

٦ اشتغل كجندي امين للمسيح والكنيسة وللوطن ويجب ان تكون مستعدًّا لما يسألك اياه يوماً هؤلاء الثلاثة اي المسيح والكنيسة والوطن

٧ كن في كلامك اديباً مهذباً وتنزه عن ان تكون راغباً في ما ليس بنقي طاهر

٨ كن حكيماً واميناً ثابتاً في عهودك وولائك وتعلّم ان تحفظ سرًّا

٩ إنّ شرف المسيحي ان يعطي ويخدم اسوةً بربه فكن انت صالحاً كريماً خدوماً للجميع ولاسيا للفقراء.

ولاجل حفظ هذه الوصايا فُرضت على كل من قبلها قراءةٌ روحية كل يوم

وزيارة القربان المقدس والصلاة الى العذراء مريم والتقرُّب من الاسرار في كل شهر وتعلّم امور الديانة والدفاع عنها لدى الاقتضاء وان يكون الفتى المنخرط في سلك الكشافة قدوة لغيره في عيلتهِ ومدرستهِ وبين اقرانهِ وان يرغب في ما هو شاقّ صعب وان يكون شجاعاً حزوماً وان يتألم من دون شكوى

فعلى هذا الدستور الأدبي يسير اولئك الشبان وبهِ يكونون رجال جدّ ونشاط لا ينقادون بالدافع الخارجي فقط كالمعاقبة والتونيب بل بدافع داخلي هو دافع الدين والضمير والشرف وما هنالك من الروح العائلي يولّد في كل منهم الاهتمام بشرف الجماعة والمحافظة على سمعتها والسعي في اعطاء المثل الصالح والمنافسة في عمل الخير لتبقى الارادة عاملة ثابتة في طلب الخير الاعظم

ومتى بلغ الشاب في الكشافة الكاثوليكية هذا المبلغ من تهذيب الارادة وتكميلها يتقدم على حلف اليمين في حفلة حافلة بعد ان يستعدّ لهُ بالاختلاء مدّة اربع وعشرين ساعة وهذه صورته :

« اني انا الواضع يدي على الراية وعلى ضميري بحضرة رفقائي ورؤسائي ومرشدي اعاهد بقدار استطاعتي انا الفتى المسيحي ان اخضع لرؤسائي ونظام جماعتي قدوة الشبية وأن احفظ وصايا الشرف وبالاخص ألّا اكذب ابدًا وان اكون خدومًا لقريبي شفوقًا على البائسين واجتهد ان انمو في حب الخير حتى احقق في حياتي شعار القدوة المسيحية « المسيح والوطن » . فليبارك الله والكنيسة أمي قصدي هذا وتساعداني على ان اكون برًّا بهِ »

فعلى الطاعة والعمل والنزاهة والصدق والخدمة ومحبة الله والوطن يرتكز اساس الكشافة الكاثوليكية فما اشرف مبادئها واعظم شأنها

منافعها

في تأليف الكشافة من المنافع ما لا يُنكر فانّ فيها روح الأُلفة وما أحوجنا اليها ! روح النشاط والعمل ونحن نكاد نفقدهُ بعد ويلات الحرب الكونية اذ فقدنا اليد العاملة بالموت والمهاجرة ووقوف الحركة ! روح الكشافة الاقتصاد ونحن لا نعرف منهُ الّا الاسم فقط فاكثر اغنيائنا محتكرون مبذرون والمحترفون فينا وهم يكادون يحصلون كفاف يومهم يجعلون مصاريفهم فوق طاقتهم متشبهين باصحاب اليسار والثروة . الكشافة توجب القناعة اذ لا يبيح قانونها بان يصرف العضو فيها اكثر من

نصف مدخوله اليومي وان يحتفظ بالباقي لخير نفسه وقريبه . ومن لوازمها التدين الصحيح والآداب السليمة فيكون لا اوفق ولا ألزم منها لبلاد هي مهبط الوحي ومسكن الانبيا عاش فيها الاسلاف معتصمين بالدين وصون حرمة الاداب. والتاريخ اصدق دليل. ومن روح الكشافة التفاني في سبيل الخير وحب الوطن وهذا ما زال عندنا اسماً بلا مسمّى ولو لم يكن في الكشافة سوى روح التفاني والمفاداة الذي هو روح المسيح والكنيسة لكفاها ذلك فخراً فضلاً عن انها بما فيها من روح الالفة والاتحاد تكون صلة متينة بين بلد وبلدٍ ودولةٍ واخرى . وبحيادها عن كل سياسة تزيد توثيق عرى المحبة والولاء بين الافراد والجماعات على اختلاف الجنسية والمشارب

فالكشّافة بتذرّعها بتينك الوسيلتين الضامنتين لها حسن المستقبل والثبات في العمل اي الرياضة البدنيّة والرياضة النفسيّة تحفظ اعضاءها شبّاناً وفتياناً من التعرّض لاسباب الامراض المضرّة بالنفس والجسد. وما اكثر الشبان تعرّضاً لمثل تلك الامراض التي ينتشر مكروبها وخصوصاً في هذه الايام في المسارح والملاهي الخلاعية والالعاب المحرّمة . وانها بما فيها من القوانين الصحية والتعاليم الاخلاقية تقي الشبيبة من تلك المخاطر وترشد خطواتها في الطريق السوي فلا تقع في فخاخ المآثم . وللفتى الشابّ بالرياضتين المشار اليهما ندحة عمّا سواهما وبهما تحصل له الفائدتان اللازمتان للحياة اي صحّة الجسد ونضارته وسلامة النفس وطهارتها . فكم تقرّ العين اذ ترى اولئك الفتيان وقد ضربوا خيامهم البيضاء في منبسط الصحراء وانتظمت اسرابهم صفوفاً تحاكي اسراب الحمام بما فيهم من جريٍ سريع ومنظر بديع وقلب وديع ووجه يطفح بشراً وحبوراً وجسمٍ امتلأ حياةً وقوة تأسر بشائق تمارينها النظر وتخلب برائق العابها الفكر فتضارع الاشبال جرأةً والطيور سرعةً والازهار طهارةً وجمالاً والمتوحدين لله عبادةً وكمالاً

أكرِمْ وأجمِلْ بالكشافة الكاثوليكية التي تقرن تلك الرياضة الخارجية بترويض اخلاقها وقيامها بواجباتها الدينية في كل اين وآن. فاذا ارخى الليل سدوله وسكنت الطبيعة قامت تلك الكشافة تناجي الله ربّها من وراء النجوم الزواهر وتمجده بما فيها من ايمان حي وضمير مطمئن ونفس راتعة بسلام الله . وتنهض عند بزوغ الفجر وقد ذرّت نجمة الصبح فوق الجبال لتحيي نجمة الاكوان وتضرع اليها وتناديها . وقبل ان

تحلّ الكشافة أطنابها ترفع صوتها الى الله قائلة : «تنازل اللهمّ واحفظنا اليوم اجمعين في حال النعمة وقيّض لكل منا نحن كشافتك ألّا نصرف يومنا الّا بخدمة ونفع قريبنا لاجل محبتك» . او تتلو هذه صلاة القديس اغناطيوس : «يا قلب يسوع علّمني ان اكون كريماً سخيّاً وان اخدمك كما تريد وان أعطي بلا حساب وأن أحارب لاجلك ولا اهاب العمل غير مبالٍ بالراحة وان اتفانى ولا انتظر من وراء عملي ثواباً غير ارادتك المقدوسة»

وهذه صلاة قائد الكشّافة اذا حلّت بقعةً من الارض فقبل ان تضرب الخيام يصلّيها قائلاً :

« يا ربنا وقائدنا يسوع المسيح يا من اخترتني رغم ضعفي زعيماً ووكيلاً لاخواني الكشّافة هب لي ان ارشدهم في طريق شريعتك وعلّمني ان ابيّن لهم آثارك الالهية في الطبيعة التي خلقتها وان اعلّمهم ما توجب عليّ وان اقود جماعتي هذه من مرحلة الى مرحلة حتى نبلغ اليك يا الحي في مظالّ الراحة والفرح حيث نصبتَ خباءك وخباءنا الى الابد امين »

وكم يلذّ لك ان ترى زمر اولئك الصبيان قائمين للصلاة قرب خيامهم وهم يترنمون بالاناشيد الوطنيّة والتسابيح لربّ السماء . وأكرم بالفتى الكشّافة الكاثوليكي يذكر على سريره قبل رقاده ثلاثة مبادئ جاهر ان يتقيد بها وهي :

١ً ان يكون متباهياً بايمانه وأطوعَ له من بنانه ما زال في قيد الحياة
٢ً ان يكون ابناً لبلاده ووطنياً صالحاً
٣ً ان يقوم بواجباته وهو في بيته

وهذه المبادئ تجعله ان يفكّر دائماً وان يحقق بالفعل ما عليه لعيلته وبلاده وقبل كل شيء لدينه فيكون ولداً صالحاً ووطنيّاً وكاثوليكياً صادقاً لان هذه ارادة الله فيه ولانهُ اذا لم يَقُم بواجباته هذه حُرِم الحقّ بان يعتبر نفسهُ عضواً لائقاً بالكشافة . وأَحرِ بهِ ان يذكر وصايا والدته التقية التي علمته منذ الصغر واجباته نحو ربّه ونفسه وقريبه بل أَحرِ بالام اللبنانية اليوم ان تعلّم ابنها الصدق والشجاعة وتوصيه بما كانت احدى الامهات الفاضلات توصي ابنها قائلة :

« اني اوصيك يا بني بثلاثة اشياء : الاول وقبل كل شيء ان تحبّ الله وتعبده وتخشاه ولا تخنهُ ابداً لانك انما وُجدنا وخُلقنا وخلاص ومن دون نعمته لا نستطيع عملاً صالحاً في هذا العالم . الثاني ان تكون انيساً ودعياً لكل انس لطيف اذ تنزع منك كل كبرياء كن متواضعاً ولا تكن نمّاماً ولا كذاباً وكن قنوعاً . واياك والحسد الممقوت والمداهنة ونقل الكلام واذا قلت

فاضل. ووصيتي الثالثة ان تحسن الى الارامل والايتام وان تتصدّق على الفقراء لاجل وجه الله الكريم هذه وصاياي فاحفظها تكن رجلاً غانماً رضيّ الله ربك ومفيداً لنفسك ولوطنك»

فمتى كثُر ما بيننا عدد امثال هاتهِ الامهات واولئك الشبان الراقين ديناً وعلماً وادباً فُزنا بما نبتغي من الرقي الحقيقي والكشافة الكاثوليكية تضمن لنا ذلك وتنيله وبغير مبادئها لا يمكن او يصعب بلوغ هذه الامنية فكما انهُ لا امل بان نجني من العوسج تيناً ولا من الشوك عنباً كذلك لا يكون رقي صحيح من كشافة او شبيبة لا دين ولا آداب لها. على ان الرقي والتمدن الحقيقي مضمونان بوضع مبادئ الكشافة الكاثوليكية بالعمل فهي والحق يقال ليست شاملة فقط جماعتها بل جميع طبقات الناس اذ يمكننا ان نسمي الكاهن كشافةً بغيرتهِ وتفانيه والحاكمَ كشافةً بنزاهتهِ وعدلهِ ومثلهم التاجر باستقامتهِ وقناعتهِ والعامل بنشاطهِ وجدهِ واقتصادهِ والوالدون بقيامهم بمهام العيلة وتربية البنين والابناء بما عليهم من طاعة ومحبة واحترام لوالديهم. فمتى ساد العدل والنزاهة والمحبة والعمل والاقتصاد وبالجملة متى سرنا بحسب تعاليم الانجيل اسّ التمدن والعمران كنا في مستوى ارقى الامم واكثرها حضارةً ونهضت البلاد من كبوتها وانسدّت ابواب المهاجرة وانقطع سيلها الجارف.

فالى الشبيبة العزيزة الناهضة نسوق هذا الكلام مذكرينها — ان كانت من الكشافة — ان ترعى قوانينها وتحفظها بما فيها من حميّة وطنية وروح دينية ملازمةً حدود الفطنة والاعتدال في كلّ شيء. وألّا تلهو بالقشور عن اللب. وان كانت ممن لم ينخرطوا بعدُ في سلك الكشافة نرغب اليها هذه الخطة الشريفة والمفيدة ونحثُّها على التمسك بمبادئها القويمة اذ تعرض عن كل ما هو منافٍ للدين والاداب وتحذر شرّ المجتمعات الفاسدة والمفسدة التي تقتل روح الوطنية الحقة وتطفئ مصباح الايمان من العقل وتقعد بالارادة عن عمل البرّ والصلاح

كنتُ الصيف الماضي في احد اديارنا لمهمّة رهبانيّة فوافق ان وجدتُ هناك فئة من الكشافة التي يدير شؤونها بعض آباء الرهبانيّة الانطونيّة وما اشدّ ما كان فرحي وابتهاجي لمّا رأيت اولئك الفتيان يأتون من التمارين والالعاب الشائقة ما هو اولى بجنود منظّمة فكان يبرز من صفوفهم فتى هو اصغرهم سناً فيتولّى قيادتهم وتعليمهم. ومما زادني سروراً اني كنت اقرأ على جباههم الوضّاحة آيات المحبة والاخاء وعنوان

الطهارة والنقاء. وما اجمل ما كانت صفوفهم وقد قاموا في الكنيسة لسماع القدّاس وللصلاة يوم عيد انتقال السيدة عليها السلام وقد حمل كلٌّ منهم عدَّةَ سفرهِ بعد ان ملأ قلبه من محبة الله وقريبه. ولمَّا رايتهم يتقدَّمون من مائدة الاخلاص قلت في نفسي: عسى ان تثبت هذه الاغصان في الكرمة فتستمدَّ من مائها روح التفاني والإقدام والشجاعة فتثمر اثمار الصلاح المرغوبة. وعساك يا لبنان المسكين تقوم بها من كبوتك وتنهض بشبيبتك وترى من ابنائك مَن يعيدون لك سالف مجدك وعزّك! اذ يرتشفون مناهل العلم صافيةً من كدر الكفر والفساد ويكون لهم من متين عقيدتهم وسلامة ادابهم عدَّةٌ يخوضون بها معامع هذه الحياة ليخرجوا منها ظافرين بمعونة الله الذي اليهِ المآل ومنهُ تحقيق الآمال ما أضيقَ العيش لولا فسحةُ الاملِ

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الامويَّة (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٤ اعشى بني تغلب

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ يُطلق اسم الأعشى على نحوٍ من عشرين شاعراً كما ترى في المزهر للسيوطي (٢: ٢٢٩–٢٣٠) وفي شرح شواهد المغني لهُ (ص ٨٦) وفي تاج العروس (١٠: ٢٤٣–٢٤٤). وقد كثر التخليط في تعريف اسمائهم وكُناهم وقبائلهم. وربَّما اكتفى الادباء باسم الاعشى دون زيادةٍ في التعريف. وانَّما اشهرهم الاعشى المعروف بالاعشى الاكبر وهو ابو بصير الميمون بن قيس وهو جاهليٌّ. واسم الاعشى لقبٌ يُطلق على السيّئ البصر من العشاء وهي ظلمة تعترض العين فلا تُبصر ليلًا

واعشى بني تغلب قد اختلفوا في اسمهِ. جاء في الاغاني (١٠: ٩٨): «قال ابو عمرو الشيباني اسمهُ ربيعة. وقال ابن حبيب: اسمهُ النعمان بن يحيى». وفي الحماسة البصريَّة (١: ٨٧) «هو ربيعة بن نجران» وفي محلّ آخر «هو نعمان بن نجوان التغلبي»

واسمهُ ربيعة» . وفي المزهر للسيوطي (٢ : ٢٢٩) : « الاعشى التغلبي اسمهُ نعمان بن نجران» وقال في التاج (٩ : ٣٤٤) : «هو النعمان ويقال ابن جاوان وهو في الاراقم» .
أمّا نسبهُ فرفعهُ ابو الفرج في الاغاني الى نزار فقال : « النعمان بن عمرو (بن غنم) بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ابي ربيعة بن نزار» . وكثيرًا ما اشاروا اليهِ باسم « التغلبي» بلا زيادة

﴿زمانهُ وموطنهُ﴾ قال في الاغاني : « هو من شعراء الدولة الامويّة وساكني الشام اذا حضر واذا بَدا نزل في بلاد قومهِ بنواحي الوصل وديار ربيعة » . ومن المعلوم انَّ ديار تغلب كانت في بلاد ما بين النهرين في جوار ديار بكر في جنوبيّها على ضفّة الفرات الشماليّة من الرقّة والرصافة الى جهات سنجار وانحاء الموصل . عاش في اواخر القرن الاوّل ثمّ اوائل الثاني للهجرة وفي النصف الاوّل من القرن الثامن للمسيح في عهد الوليد بن عبد الملك وخلفهِ عُمَر بن عبد العزيز

﴿دينهُ﴾ صرَّح بهِ ايضاً صاحب الاغاني بقولهِ (١٠ : ٩٨) : « وكان نصرانيًا وعلى ذلك مات» . ومثلهُ قال صاحب الحماسة البصريّة (١ : ٨٧) : «وكان نصرانيا»

﴿اخبارهُ﴾ لم نعرف من اخبار اعشى بني تغلب الّا النزر القليل . وانّما يُستدَلُّ من هذا القليل على علوّ مرتبتهِ . فمن ذلك انهُ حظي عند خلفاء بني اميّة وعند اعيان زمانهِ . روى ابو الفرج عن ابن حبيب وابي عمرو (١٠ : ٩٩) انَّ الوليد بن عبد الملك كان محسناً الى اعشى بني تغلب . وقد مدحَ مسلمةَ بن عبد الملك اخا الوليد وصاحب الغزوات الكثيرة المتوفَّى سنة ١٢٣ ﻫ (٧٤٢م) . وكذلك مدح بعض وجوه زمانهِ كمُدْرِك بن عبدالله الكنانيّ

﴿اخلاقهُ﴾ كان اعشى التغلبيّ ابيًا فظّ الطباع ذا نخوة لا يرضى بالهوان فمن ذلك ما حدّث بهِ محمّد بن حبيب عن ابي عمرو الشيبانيّ (الاغاني ١٠ : ٩٨) قال : « كان اعشي بني تغلب يُنادم الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم فشربا يوماً في بستان لهُ بالموصل فسكر الاعشى فنام في البستان ودعا الحرُّ بجواريهِ فدخلنَ عليهِ قبّتهُ واستيقظ الاعشى فأقبل ليدخل القبّة فمانَعهُ الخدم ودافَعهم حتى كاد ان يهجم على الحرّ مع جواريهِ فلطمهُ خصيٌّ منهم . فخرج الاعشى الى قومهِ فقال لهم : لطمني الحرُّ فوثب معهُ رجلٌ من بني تغلب يقال لهُ ابن ادعج وهو شهاب بن همام بن ثعلبة بن ابي سعدة

فاقتحما الحائط وهجا على الحرّ حتى لطمهُ الاعشى ثم رجعا فقال الاعشى (من الوافر):

كأنّي وابنَ أدعجَ اذ دخلنا على قُرَشيّك الوَرِع الجَبانِ
هِزَبرا غابةٍ وَقَصا حمارًا فظلّا حولهُ يتناهشانِ
انا الجُشَميُّ من جُشَم بن بكرٍ عشيّةَ رُعتُ وجهكَ بالبَنانِ (١
فما يَستطيعُ ذو ملكٍ عِقابي اذا اجترَمَتْ يدي وجَنَى لساني
عشيّةَ غاب عنك بنو هشامٍ وعثمانُ أستُها وبنو أبانِ
تروحُ الى منازلنا قريشٌ وانتَ مُخيّمٌ بالزُّرْقانِ (٢

والحرُّ المذكور هو الامير ابن يوسف بن يحيى بن الحكم بن ابي العاص بن اميّة من وجوه قريش واليهِ يُنسب نهر الحرّ بالموصل لانهُ حفرهُ (التاج). وقد ولي مصر ثلاث سنين من قبل هشام سنة ١٠٥–١٠٨ﻫ (٧٢٣–٧٢٦م). وروى ايضاً ابن حبيب عن ابي عمرو قال (الاغاني ١٠: ٩٩): «وكان الوليد بن عبد الملك محسناً الى اعشى بني تغلب فلمّا ولي عُمر بن عبد العزيز الخلافة وفد اليهِ يمدحهُ فلم يعطهِ شيئاً وقال: «ما ارى للشعر في بيت المال حقًّا ولو كان لهم فيهِ حقّ لما كان لك لأنّك امرؤٌ نصرانيّ» فانصرف الاعشى وهو يقول (الحماسة البصريّة ١: ٨٧) (من الطويل):

لَعَمري لقد عاش الوليدُ حياتَهُ إمامَ هُدًى لا مُستزادٌ ولا نَزْرُ
كأنّ بني مَرْوانَ بعد وَليدِهم (٣ جلاميدُ لا تَندى (٤ ولو بَلّها القَطْرُ
وكانوا أناساً يَنتحُون فأصبحوا واكثرُ ما يُعطونك النظرُ الشَّزْرُ
ألم يكُ عذرًا ما فعلتم بشَمْعَلٍ وقد خاب من كانت أمانيَّهُ القَدْرُ

---

١) اي لطمتُك. وقولهُ «انا جُشَميّ» اي مثلي يفعل ذلك بمثلك (الاغاني)
٢) (قال) الزُّرقان قرية كانت للحرّ بسنجار
٣) ويروى: بعد وفاتهِ ٤) ويروى: ما ينَدى

وكائن دفعنا عنكم من عظيمةٍ ولكن ابيتم لا وفاءٌ ولا شكرُ
فان تكفروا ما قد فعلتم فربّما أُتيحَ لكم قسراً بأسيافنا النّصرُ

وشعل المذكور هنا هو الشاعر الذي مرَّ وصفهُ الذي امر الخليفة الاموي بقطع جذوةٍ من فخذهِ اذ لم يشأ ان يجحد دينهُ النصرانيّ (راجع الصفحة ١٧٩ من العدد السابق) . وفي كتاب الاغاني يُنسب الى أعشى تغلب البيتان اللذان رويناهما هناك (ص ١٨٠)

وممَّا انشده اعشى تغلب قولهُ يذكر وقائع جرت بين بني تغلب وبين شيبان وكان مالك بن مسمع رئيس بني بكر معاوناً في بعضها لبني شيبان فقعد عنهم فقال الاعشى في ذلك (من الطويل) :

بني أُمنا مهلاً فانَّ نفوسنا تُميت عليكم عتبها وَمصالها
وترعى بلا جهلٍ قَرابة بيننا وبينكمُ لمّا قطعتم وِصالها
جَزى الله شيباناً وتيماً ملامةً جزاء المسيء سعيها وفعالها
أَبا مِسمَعٍ مَنْ تُنكِرِ الحقَّ نفسهُ وتعجز عن المعروف يَعرِف ضلالها
أأَوقدتَ نار الحرب حتى اذا بدا لنفسك ما تجني الحروبُ فهالها
نزعتَ وقد جرَّدتها ذات منظرٍ قبيحٍ مَهينٍ حيثُ ألقت حلالها
ألسنا اذا ما الحربُ شبَّ سعيرُها وكان سفيحُ المشرفيِّ صِلالها
أجارتنا حِلٌّ لكم ان تنازلوا محارمها وأنْ تجيزوا حلالها
كذبتم يمينَ الله حتى تُعاوِروا صدورَ العوالي بيننا ونصالها
وحتى ترى عين الذي كان شامتاً مزاحف عقرى بيننا ومجالها

﴿شعر الاعشى التغلبي﴾ انَّ القليل ممَّا بقي من شعر الاعشى التغلبيّ ينبئ بحسن

ذوقهِ ومتانة نظمهِ ما يجعلهُ اهلًا بشعراء زمانهِ المفلقين. وقد تغنّى المغنّون ببعض ما انتجتهُ قريحتهُ فمن ذلك ما روى لهُ صاحب الاغاني وهما البيتان التابعان (من الكامل):

دارٌ لِقاتِلَة الغَرانق (١ ما بها غيرُ الوحوش خلَت لهُ وخَلاَ لَها

ظلَّت تُسائِلُ بالمُتيَّم ما بهِ (٢ وهي التي فعلَتْ بهِ أفعالَها

قال: «الشعر لاعشى بني تغلب من قصيدةٍ يمدح بها مَسلمة بن عبد الملك ويهجو جريرًا ويُعين الاخطل عليهِ. وفيهِ صوت والغناء لعبدالله بن العبَّاس.. وقد بقي من القصيدة المذكورة بعض الابيات رُويت في ديوان الاخطل (ص ٣٢٠–٣٢١ من طبعة الاب انطون صالحاني) وفي الحماسة البصريَّة (٢: ١١٧) وهي هذه:

رحلَتْ أُمامَةُ للفِراقِ جِمالَها كَيما تَبِينُ وما تُحِبُّ (٣ زِيالَها

هذا النهارَ بَدا لها من هَمِّها ما بالُها بالليلِ زال زوالُها

الحسنُ آلَفها ببيتِ ضَجيعِها وتظَلُّ قاصِرَةً عليهِ ظِلالَها (٤

ولَئن أُمامَةُ فارقت او بدَّلَتْ وُدًّا بودِّك ما صَرَمْتَ حبالَها

ولَئن أُمامَةُ ودَّعَتْك ولم تَخُنْ ما قد عَلمتَ لَتُدرِكَنْ وِصالَها

إِربَعْ على دِمَنٍ تَقادَم عهدُها بالجَوف واستلَبَ الزمانُ حِلالَها (٥

كانت تُريك اذا نظرتَ أمامَها مَجرى السُّموطِ (٦ ومرأةً خَلخالَها

---

١) ويروى: لقانصة الغرانق ٢) ويروى: ما لهُ

٣) رَحَلَ الجمَل حطَّ عليهِ الرحل. ويروى: زحلت سلامة. ورحلت سُمَيَّة. ويروى: فما تُريد ٤) وفي الحماسة البصريَّة بعد هذا «ظلَّت تسائل» البيت

٥) إربَع اي اعطِفْ وعُجْ. والجَوْف اسم مكان واصلهُ المطمئنّ من الارض. وبعد هذا البيتان اللذان فيهما الصوت «دارٌ لقاتلة...» ويروى: دِمَنٌ لقاتلة الغرانق.. الّا الوحوش» الغُرنوق طائر مائي ابيض يستعار للشاب الحسَن. ويروى: بكرَتْ تسائل والحِلال القوم النزول

٦) مجرى السُّموط اي موضع القلادة والعُنُق

دَعْ ما مضى منها فربَّ مُدامةٍ — صهباء عاريةٍ القَذى سَلْسالِها (١
باكرتُها عند الصباح على نُجًى (٢ — ووضعتُ غيرَ جِلالِها اثقالَها
صبَّحتُها غُرَّ الوجوهِ غرانقاً — من تغلِبَ الغَلْباء لا أسفالَها
إخسأْ اليك جريرُ انَّا معشرٌ — نِلْنا (٣ السماءَ نجومَها وهِلالَها
ما رامَنا مَلِكٌ يُقيمُ قَناتَنا — الَّا استَبَحْنا خيلَهُ ورِجالَها

وممَّا رواهُ الجاحظ في البيان والتبيين(١ : ٢١٥)لاعشى بني تغلب (٤ ومثلهُ امين الدولة محمَّد الافطسيّ في كتاب المجموع اللفيف(Ms de Paris, 3388, ff. 147ᵛ قولهُ (من البسيط) :

ما ضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتَها — أم بُلتَ حيث تناطحَ البحرانِ

ما ضرَّ غازيَ نِزارٍ أن يُفارِقهُ — كلبٌ وجَرْمٌ اذا ابناؤهُ اتَّفقوا
قالت قُضاعَةُ انَّا من ذوي يَمَنٍ — اللهُ يعلمُ ما بَرُّوا (٥ ولا صَدَقوا
يزدادُ لحمُ المناقي (٦ في منازلنا — طِيباً اذا عزَّ في اعدائنا المَرَقُ
وما خطَبْنا الى قومٍ بناتِهِمُ — إلَّا بأرْعَنَ في حافاتِهِ الخِرَقُ

واليهِ نسب ابن عبد ربّهِ في وصف يوم ذي قار الابيات التالية في العقد الفريد (٣ : ١١٧) وفيها ابيات تُروى في معلَّقة عنترة (من الكامل) :

ولقد رأيتُ اخاكَ عمرًا مرَّةً — يَقْضي وضيعَتُهُ بذات العِجْرِمِ
في غمرة الموت التي لا تشتكي — غمراتِها الابطالُ غيرَ تَغَمْغُمِ
وكأنَّما أقدامُهم وأكُفُّهم — سِربٌ تَساقَطَ في خليجٍ مُفْعَمِ

١) بالاقواء . السلسال الليّنة
٢) النّجى جمع نَجْوَة المرتفع من الارض ٣) ويروى : منّا السماء ٤) وفي الاصل ابن ثعلبة وهو غلط اصلحهُ الافطسيّ
٥) وفي نسخة باريس : ما برُّ ٦) ويروى : لحمُ المنايا

لمَّا سمعتُ دُعاةَ مُرَّةَ قد علا ... واتى ربيعةَ في العَجاج الأَقتمِ
ومُحَلِّمٌ يمشونَ تحت لِوائهم ... والموتُ تحت لواء آلِ مُحَلِّمِ
لا تَصرِفون عن الوغى بوجوههم ... في كلّ سابغةٍ كلون العِظْلِم
ودعتْ بنو امِّ الرقاع فأقبلوا ... عند اللقاء بكل شاكٍ مُعلَمِ
وسمعتُ يَشكُرَ تدَّعي بحُبَيِّبٍ ... تحت العَجاجةِ وهي تقطرُ بالدمِ
يمشونَ في الحلقِ الجديد كما مشتْ ... أُسدُ العَرينِ بيومِ نحسٍ مُظلمِ
والجمعُ من ذُهْلٍ كأنَّ زُهاءهم ... جُرْبُ الجمال يقودُها ابنا قَشْعَمِ
والخيلُ من تحت العَجاج عَوابساً ... وعلى مَناسِجِها سحائبُ من دمِ.

وقال في الجاهليَّة يشكو ضرائب ومكوس ملوك العرب (كتاب الحيوان للجاحظ ٦ : ٤٤) (من الطويل):

أَلا تستحي منَّا ملوكٌ وتتَّقي ... محارِمَنا لا يبرأُ الدمُ بالدمِ
وفي كلّ اسواقِ العراقِ إتاوةٌ ... وفي كلّ ما باعَ امرؤٌ مَكسُ دِرهمِ

وروى لهُ ايضاً (٥ : ١٦٩) في وصف القطا قال وهي أجود قصيدةٍ قيلت في القطا (من الطويل):

ثلاثُ مَرَوْراتٍ يُجاذبُها القطا ... ترى الفرخَ في حافاتها يتحرَّقُ
يظلُّ بها فرخُ القطاة كأنَّهُ ... يتيمٌ يُناجيهِ مواليهِ مُطرِقُ
بدَيمومةٍ قد بات فيها وعينُهُ ... على موتِهِ تُغضي مِرارًا وتَرْنَقُ
شَبيهٌ بلا شيءٍ هنالك شخصُهُ ... يُواريهِ قِنعٌ حولَهُ مُتَفَلِّقُ
لهُ مَحجِرٌ نابٍ وعينٌ مريضةٌ ... وشِدقٌ بمثلِ الزعفرانِ مُخلَّقُ

تُناجيهِ كحلاء المدامعِ حُرّةٌ لها ذنبٌ ساجٍ وجيدٌ مطوّقُ
سماكيّةٌ كدريّةٌ عرعريّةٌ شكاليّةٌ عفراء سمراء سملَقُ
اذا غادرَتهُ تبتغي ما يُعيشُهُ كفاها رزاياها النجاء الهبنّقُ
عدَتْ تستقي من منهلٍ ليس دونهُ مسيرةُ شهرٍ للقطا مُتعلَّقُ
لأزغبَ مطروحٍ بجوزِ تنوفةٍ تلظّى سموماً قيظهُ فهو أورقُ
تراهُ اذا أمسى وقد كاد جلدهُ من الحرّ عن أوصالهِ يتمزّقُ
غدَتْ فاستقلّت ثمَّ ولّت مُغيرةً بها حين ترهاها الجناحانِ أولَقُ
تيمّم ضحضاحاً من الماء قد بدَتْ دعاميصهُ في الماء أطحلُ أطرقُ
فلمّا أتتهُ مُقْدَحِرّاً تقرّبَت تقرّبَ مجنونٍ فتطفو وتغرقُ
تَجُرُّ وتُلقي في سِقاء كأنهُ من الحنظل العاميّ جزءٌ مُفلَّقُ
فلمّا ارتوت من مائها لم يكن لها اناةٌ وقد كادت من الرمي تبعقُ
طمَتْ طموةً صُعُداً ومدّت جرانها وطار كما طار السحابُ المحلّقُ

هذا ما أمكننا جمعهُ من آثار ذلك الشاعر وكفى بهِ دليلاً على فضله (لهُ صلة)

سياحة أثريّة

في ماريا وتابوزيريس الكبرى وخرائب القديس ميناس

للخوري لويس ملحمه كاهن موارنة الاسكندرية واحد اعضاء الجمعية الاثرية فيها

ان للجمعية الاثريّة في الاسكندريّة غايةً سامية وهي العناية بامر العاديّات التي

تُكتَشف في دفائن ارضنا سواء كانَ في المدينة عينها او في ضواحيها وارباضها ودرسُها درساً تاريخياً اثرياً . ومن حميد عاداتهـا انها تدعو كل سنة اعضاءهـا وعائلاتهم الى سياحة اثرّية في جهة من الجهات التي اشتهرت بخطورة آثارها وتاريخها . وقد دعتهم هذه السنة الى سياحة من هذا النوع في مدينتي ماريا وتابوزيريس المريوتيّتين في القِـدَم وخرائب القديس ميناس الشهيد المعروف وهي كلُّها في انحاء مريوط . وبما أنّنا من اعضاء الجمعية الموما اليها قد لبّينا تلك الدعوة العلميّة بطيبة خاطر . ومن ثمّ فقد رأينا ان ننشر على صفحات الشرق الزاهر تفاصيل هذه السياحة لما فيها من الفوائد الاثرية والتاريخية للقراء الكرام فنقول :

لقد احتشد المدعوون غلَس الاحد الواقع في ٩ آذار من السنة الجارية في اروقة المتحف الاسكندري وعددهم يربو على المائة وبينهم جناب المسيو برتشيا (M. Breccia) مدير المتحف المذكور ومن المعلوم انهُ ممّن لا يُشقّ لهم غبـار في مضمار فنّي الآثار والتاريخ . وبعـد ان تأهبوا الرحيل ركب جميعهم السيّـارات التى اناف عددها على الاربعين . وما هي الّا هُنَيهة حتى سار هـذا الرّتل من السيارات يخترق شوارع المدينة الى ان تجاوز محلّة المكس

وهناك اخذت تبدو لنا بحيرة مريوط بلونهـا السّنجوني البديع وحولهـا من المروج والحقول الخصبة ما يأخذ بمجامع الالباب . كيف لا وقد كسا الربيع تلك المروج حلّةً زمرُدّيّة اللون تنمّقها ازهار الاقاحيّ وشقائق النعمان . فاجتزنا هذه البحيرة التي لعبت دوراً خطيراً في التاريخ اذ كان في اوساطها خلالَ العصر الروماني اليوناني ثماني جُزُر صغيرة وفيرة الخِصب ابتنى فيها قوم من المثرين يومئذٍ جواسق جميلة طوّقوها بحدائق غنّاء لسكنها في اجمل فصول السنة

وكانت تلك البقعـة المريوطيّة التي على عدوة البحيرة غنيةً بزراعـة الكروم واشجار الزيتون وكان لها شهرة عظمى بنعومة ورق البردي الذي كان ينمو فيهـا بكثرة وقد وصف الكاتب اليونانيّ اتينـاي خمر مريوط بعذوبة الحلاوة والخفّـة وطيب الرائحة واثبت الشاعر الروماني هوراس بان الملكة كليوباتره الشهيرة لم تفضل خمراً في حياتها على خمر مريوط . وقال ڤرجيل الشاعر اللاتيني الكبير ان عنب مريوط كان مشهوراً بنصاعة البياض وزكاء التربة التي ينمو فيهـا . وقد عثر محمود الفلكي

في تلك الاراضي على بقايا معاصر ومصانع وصهاريج كانت معدة بلا ريب لصنع الزيوت والخمور لكن اليوم قد غدت هذه المقاطعة مسكناً للبدو الذين يعيشون فيها من الزرع والضرع

وكانت مياه البحيرة قد غاضت في القرون الوسطى الّا ان الانكليز قد اعادوا المياه اليها في موقعة ابو قير المشهورة. اما في الاجيال المسيحية فقد بلغت البلاد الواقعة على شواطئ البحيرة شأواً بعيداً من العمران وقيل انهُ كان هناك للرهبان والنسّاك ما يزيد على ٦٠٠ دير او معهد. وما زلنا الى ان وصلنا الى موقع مدينة ماريا

١. ماريا وآثارها

كانت ماريا (Marea) هذه حاضرة البلاد المريوطيّة في ايام اليونان والرومان وهي قائمة في شبه جزيرة جنوب بحيرة مريوط وقد ورد ذكرها في تاريخ هيرودوت وفي الكتابات الراقية الى عهد الفراعنة. وكانت تُعدّ في زمانهم من مخافر الحدود المصرية وزعم ايزيدور المؤرخ ان الملك أماسيس شنّ الغارة فيها على بساءَاتيك ملك ليبية وهزمه شرّ هزيمة وذهب فريق من العلماء الى ان ابنهُ ايناروس قد جعلها عاصمةَ ملكهِ وفيها استعدّ لمحاربة الفرس في مصر السفلى

وقد كان لماريا هذه في ايّام البطالسة اهمّيّة كبرى من حيث مرفإها فانها كانت المستودع الخاصّ لتجارة البحيرة ومقاطعات مريوط كافّة وهي اليوم خراب يباب ينعق فيها الغراب. وبعد ان لبثنا هناك نحو ساعة من الزمن استقللنا السيّارات ووجهتنا تابوزيريس

٢. تابوزيريس الكبرى

زعم پاكو (١ في كتاب رحلته الى بلاد مريوط انهُ كثيراً ما حاول ان يعثر بين خرائب تابوزيريس (Taposiris Magna) (وهي ابوصير اليوم) على بقايا من المباني المصرية القديمة فلم يجد ضالّته المنشودة. وعندهُ ان قدماء المصريين لم يشيّدوا ابنية ولم يُنشئوا مدناً في البلاد المريوطية قبل احتلال اليونان لها وانّ قبل عهدهم كان

(١ Pacho: Relation d'un voyage dans la Marmarique, *Paris*, 1827

يقطن تلك البلاد قبائل رُحَّل وغيرهم من الليبيّين . ولم يُصِب باكو برأيهِ هذا لأن علماء الآثار قد عثروا في جهات مريوط على عاديّات قديمة يرتقي تاريخها الى رعمسيس الثاني مضطهد الاسرائيليين ومن ثمَّ وجب التسليم بانَّ قوماً متمدّنين لا رُحلًا كما زعم باكو قطنوا تلك الجهات قبل اليونان والرومان . وقد روى كَلّيستان بان الاسكندر الكبير قد تفقّد مدينة تابوزيريس في طريقهِ من الاسكندرية الى هيكل الاله أمون الواقع في صحراء ليبية السحيقة . أمّا الصَّرح الفَخم الذي صبر على الزمان في تابوزيريس حتى الآن فانمّا هو هيكل اقامهُ البطالسة للاله اوزيريس وهو ذو شكل مربّع الزوايا شيَّد المسيحيون في صحنه كنيسة صغيرة في القرون المسيحية الاولى كشفَ الغطاء عنها المسيو بريتشيا ابان الحرب الكبرى وكان طول الهيكل المذكور يبلغ ٨٦ مترًا في مثلهِ عرضاً ولم يبقَ منه الّا جدرانهُ الخارجيّة . وقد اكتشف هناك ايضاً كتابةَ قديمة محفورة في قاعدة تمثال من الحجر الصوّاني الاسود قدّمه كهنة ذلك الهيكل الى إلههم اوزيريس

وقد كان لمدينة تابوزيريس من الأهميّة ما لم يكن لمدينة ماريا المارّ ذكرها على عهد الرومان ففيها كان يقيم والي مصر ويجبي سكّان اقليم ليبية التابعين لولايته . وفيها ايضاً بنى الامبراطور يوستينيانوس في القرن السادس للميلاد قصرًا فخماً لمجلس بلدية تلك المدينة وحمّامات عمومية عفت آثارها

واذا ما وجّهتَ نظرك من هذا الهيكل الى جهة الجنوب لاح لك جليًا سدٌّ يزيد طولهُ على الكيلومتر وهو يتّجه متوازياً من الشرق الى الغرب الى ان يتجاوز جسرًا رومانياً قديماً . ومنهُ يتّضح بان مياه البحيرة كانت واصلة الى تابوزيريس وان هذا السدّ كان بمثابة حوض للمياه اذ كان لتابوزيريس مرفأان احدهما داخلي لترويج التجارة مع البلاد الكائنة حول البحيرة والآخر للوارد من الخارج والصادر اليه . وترى قرب الجسر المذكور آنفاً شارعاً عريضاً محكم التبليط يتّجه نحو الهيكل بخط مستقيم يتوارى عند سيف البحر . ويؤكد البدو الضاربون في تلك الانحاء انه يتصل بشاطئ البحر . والغرض من إقامة هذا الشارع على الوجه الذي وصفناهُ كان بلا مراء لتسهيل المواصلات بين المرفإ البحري ومرفإ البحيرة كما تقدّم

وفي غربي تابوزيريس برجٌ ذو طابقَيْن يبلغ مجموع علوهِ ١٧ مترًا فالاوّل منهما

يتألف من سطح ذي اربع زوايا أما الثاني فمثمن الاضلاع وفي الطبقة السفلى المتجهة نحو البحر آثار سلم يتصل بالطبقة العليا. وما لا شبهة فيه ان هذا البرج كان منارة لمرفإ مدينة تابوزيريس. وبعد ان تفقدنا هذه الاثار الجميلة بكل دقة عمدنا الى تناول طعام الظهر جلوساً على اعشاب تلك البرية . ثم استأنفنا ركوب السيارات قاصدين الى خرائب مدينة القديس ميناس (١

٣ خرائب القديس ميناس

سارت بنا السيارات بسرعة مدهشة وكان لمنظر الوهاد والهضاب التي تخترقها اوقع تأثير في النفوس. وما كدنا نبلغ تلك الآثار المسيحية الخطيرة حتى عرتنا مسحة من الخشوع والوقار لدى ذكرنا المعجزات والخوارق التي كانت تجترح على يد وليّ الله القديس ميناس الشهيد . ولا مندوحة لنا قبل الشروع بوصف هذه الاثار المقدسة من لمحة وجيزة في حياة هذا القديس العظيم تنويراً لأذهان القرّاء.

وُلد القديس ميناس من والدين مسيحيين في مدينة (نيكيو) من اعمال مصر السفلى (٢ في النصف الثاني من القرن الثالث بعد المسيح وقد انخرط في سلك الجندية الرومانيّة وامتاز بين اقرانه بفضيلته ووطيد ايمانه . وبعد ان خدم بعض سنوات كجندي في الديار المصرية لحقَ بكتيبته في قونية من اعمال فريجية .. ولمّا اثار ديوكلسيانوس الاضطهاد ضد المسيحيين جاهر ميناس بايمانه. فأخذ روساؤه يحثّونه على جحد دينه واعتناق الوثنية تارةً بالوعيد وطوراً بالتهديد لكن ميناس رفض بتاتاً الرضوخ لأمرهم فدفعوهُ حينئذٍ للتنكيل به ثم قطعوا رأسهُ. وكان ذلك سنة ٢٩٢م . وكان قد رغب الى رفقته قبل موته ان يدفن جسده في بلاد مصر مسقط رأسه فجمعوا بقايا جثمانه التي كانت قد أُلقيت في النار بعد قطع رأسه. وعندما عادت فرقة مدينة قونية الى مصر وطنها حملت معها رُفات الشهيد ونزلت بها اولًا في

١) لقد اقتبسنا معظم ما اوردناه حتى الآن مما كان يلقيه علينا المسيو بريتشيا من المحادثات الأثرية التاريخية اثناء هذه السياحة العلمية ومن مذكراته الخصوصية ايضاً التي جمعها جنابه في ماضي حياته وقد تكرم علينا به للاستفادة منه . فنمحضهُ اخاص الشكر ونحفظ له اجمل ذكر

٢) مدينة نيكيو او نيقيو هي بلدة منوف الحالية على الارجح

الاسكندريَّة ثمَّ حملتها على ظهر جمل وانطلقت بها الى جهات مريوط واذ بلغوا حدود البحيرة بَرَكَ الجمل ولم يَعُد يخطو خطوةً الى الامام فأدركوا ان في ذلك المكان الكائن بالقرب من ينبوع عذب وَجَبَ دفن رُفات الشهيد . ثم ذاع في المسكونة ان ماء هذا الينبوع قد تحوَّل الى ماء عجائبي فاخذ الزوَّار والسيَّاح يقصدونهُ مع مَرضاهم واعلَّائهم من كل قطر وفجّ للاستشفاء . وما عتَّموا ان بنوا فوق قبرهِ كنيسةً ضاقت بعد حين عن زوَّارها

فاتَّفق انهُ كان للامبراطور اركاديوس ابنةٌ عليلة فاستأتى لها من هذا الماء فبرئت بشربه من علَّتها حالًا . فامر على إثر ذلك بتشييد كنيسة فخمة هناك (٣٩٥–٤٠٨) طارت شهرتُها في القرنين الخامس والسادس لكثرة إقبال الناس عليها . ولم تنحصر عبادة هذا القديس في مقاطعة مريوط بل شاعت في سائر انحاء القطر المصري وافريقية الشمالية وآسية الصغرى وبلاد الغاليين ودلماسية حتى رومية ايضاً حيث اقامت الجالية الاسكندرية المستوطنة هناك في ذلك العهد كنيسةً على اسم هذا القديس في ايام البابا بيلاج الثاني(١) . فلننتقل الآن الى وصف آثار معابد هذا القديس وما يحيط بها من بقايا الاديرة وصوامع الرهبان

انَّ اوَّل من باشر حفريَّات منظَّمة في مدينة القديس ميناس هو المنسنيور كوفمان الالماني في خلال سنة ١٩٠٥ فعثر اثناء حفريَّاتهِ المتابعة على الكنيسة التي شيَّدها اركاديوس كما مرَّ بك وعلى المعابد الصغرى التي حولها وعلى مدفن القديس نفسهِ وعلى عدَّة صوامع وصاعات من الدير الذي أُقيم هناك لسكن الرهبان وعلى معاهد أُقيمت خصيصاً لزوَّار الدير المذكور . وهذه كلّها أخربةٌ جليلة تنطق بلسان حالها عمَّا كانت عليهِ قديماً من الفخامة وجمال البناء . ويبلغ طول كنيسة اركاديوس ٦٠ متراً في عرض ٢٦ وكان سقفها قائماً على ٥٦ عموداً من الرخام الناصع البياض تعلوها أكلّة ذات نقوش بديعة . وكانت جدرانُها مصفَّحة بالرخام ويُنحدر في وسطها بدرج رخامي الى سربٍ فيهِ معبدٌ صغير على ضريح القديس . ولهذا المعبد قبَّة رُصِّع داخلها بالفسيفساء المموَّهة بالذهب . وترى في صحن الكنيسة ايضاً صهريجاً كان الزوَّار

١) طالع تأليف المسيو بريتشيا (Alexandria ad Ægyptum) ص١٣١ وما اليها وكتاب الاب بول دورليان الفرنسي الصادر حديثاً (Les Saints d'Egypte) مج ٢ ص ٤٨١

يغترفون منهُ الماء العجائبي فيودعونهُ في قوارير فخّاريَّة يأخذونها الى بلادهم. وكانت تلك القوارير تُصنع هناك في أفران خصوصيَّة كشفت آثارَها بعثة المنسيور كوفمان(١

امَّا مقصورة العماد (Baptistère) فكانت على شكل مربَّع الزوايا تعلوها قبة منقوشة بالفسيفساء المذهبة. وكان حوض التعميد فيها مستديرًا مصفَّحًا بالبلاط المرمري النفيس. ويؤخذ من المخطوطات القديمة وممَّا كُشف من الاثار المسيحية المصرية الى الآن بان مقصورة العماد هذه كانت فريدة في نوعها وليس ما يُضاهيها اتقانًا وفخامةً بين ما وُجد من جنسها في وادي النيل حتى يومنا

واذا اضفتَ الى كنيسة اركاديوس المعابد الصغرى التي تحيط بها مع مقصورة العماد المذكورة بلغ طول جميعها ١٢٠ مترًا. وترى الى الآن معا تلف من البلاط وغيره من الحجارة المرمرية التي كانت في تلك المعابد قطعاً كثيرة من الرخام والمرمر مبعثرة هنا وهناك وقد نُقل قسم كبير من ذلك الى متحف فرنكفورت في المانية وقسم آخر يُصان اليوم في ردهات المتحف الاسكندري

امَّا الكتابات القديمة التي وُجدت حتى الآن في تلك الخرائب فمعظمها باللغة اليونانيَّة مع قليل بالقبطيَّة وكتابةٍ وحيدة باللاتينيَّة ورد فيها اسم شخص يدعى كاسيانوس وعلى رأي المنسيور كوفمان انهُ غير كسيانوس الراهب الشاب الذي اتى من بيت لحم في السنين الاخيرة من القرن الرابع لزيارة رهبان مصر مع جرمانوس صديقهِ

وقد طفنا في آثار الاديرة الملاصقة لمعبد القديس واذا هي لا نظير لها في كلّ

١) لقد جرت العادة عند قدماء المسيحيين ان يلتمسوا الشفاء لأعلّاتهم امَّا من ماء ينبوع كائنٍ بالقرب من ضريح شهيد او من زيت المصباح المنار امام قبره. فالزوَّار الذين كانوا يؤمّون المزارات الشهيرة كانوا بعد زيارتهم يعودون ومعهم قليل من الماء المبارك كما يصنع زوار مدينة لورد في ايامنا او بترو يسير من الزيت في قوارير مستديرة (Ampoules). وهكذا قل عن زوَّار القديس ميناس فانهم كانوا يأخذون القوارير من الدير حيث كانت تُصنع خصيصًا في الافران التي ذكرناها في المتن. وترى على القارورة غالبًا رسم القديس ميناس بزيّ جندي روماني منتصباً بين جمليْن وهو باسط يديهِ للصلاة. وقد وُجد عدد كبير من هذه القوارير في رومية وداثينة ودلماسية وغيرها دعاها الاثريون قوارير القديس ميناس الَّا ان اكثرها وُجد في الاسكندريَّة قبل اجراء الحفريات في كنائس هذا القديس. وفي متحف هذه المدينة مجموعة بديعة من هذه القوارير. (انظر معجم الآثار المسيحيَّة في مادة Leclercq : *Dict. d'Archéologie Chrétienne, art.* AMPOULE

عاديّات الاديرة المسيحية القديمة لأنَّ مساحتها مع المعابد تشغل اربعين الف متر مربَّع ولا يصعب على الاثريين تجديد رسم هذه الاديرة وابرازها للعيان . وقد كان بلا ريب لهذه الكنائس والمعابد التي كانت زاهرة في تلك الاحقاب من الصور والتماثيل والادوات الكنسية والمخطوطات ما لا يُعادلهُ ثمن . ولا بدَّ من ان تكون ايدي السلب قد لعبت بقسم كبير منها الَّا ان الامل لا يزال معقودًا بانه اذا استُؤنفت الحفريات يوماً في تلك الخرائب يعثر المنقبون على اشياء كثيرة ذات قيمة (١

هذا وقد غادرنا تلك الجهات الطافحة بالتذكارات التاريخيَّة الجليلة وقفلنا عائدين الى الاسكندرية فوصلناها عند الساعة السابعة مساء شاكرين المولى عزَّ وجلَّ على تسهيلهِ لنا طريق هذه السياحة الاثرية

مطبوعات شرقيّة جديدة

Jean Levie S. J. : Le Christianisme oriental au tournant de son histoire. *La Revue Générale*, 15 *Mars et* 15 *Avril* 1923

النصرانيَّة الشرقيَّة في طورها الاخير

حضر مؤلف هذه المحاضرة الى بلاد الشرق قبل سنتين ليفحص ما صارت اليهِ احوال النصرانيَّة بعد الحرب. فهذه نتيجة ابحاثهِ دوَّنها في المجلَّة البلجكيَّة العموميَّة وقد قدَّم عليها نظرًا حسناً عن احوال النصرانيَّة في الشرق منذ عهد ملوك الروم ثمَّ في زمن العرب والاتراك وما طرأ عليها من النوائب في تلك المدَّة ثمَّ ألحقها بوصف مدقَّق لما صارت اليهِ في الحرب الاخيرة بظلم الاتراك ثمَّ بعدها بانتعاش آمالها في الفوز واخيرًا بخيبة تلك الاماني بالفوز التركيّ وضعف اوربَّة في مؤتمر لوزان حتى كادت النصرانيَّة تبلع التراقي في قيليقية والاناضول وما بين النهرين. والله يعلم ما ستكون

(١) من اراد مزيد بيان على ما اوردناه فليطالع كتاب المنسنيور كوفمان وهو :
KAUFFMANN : La découverte des Sanctuaires de S. Ménas dans le désert de Mariotis, *Alexandrie*, 1908

احوالها في مصر والعراق . وذلك كلهُ بسبب الانقسام السائد بين الدول المتحالفة فهي المسئولة عن حالة النصرانيّة التاعسة ونهضة البربريّة التركيَّة

ALMANACH CATHOLIQUE de la Syrie et du Liban, 1924, Beyrouth, Impr. Jeanne d'Arc de la Mission des Capucins, *in-8*, *pp.* 212, *illustré*

تقويم سوريّة ولبنان الكاثوليكي لسنة ١٩٢٤

نهنئ حضرات الآباء الكبوشيين بهذه التحفة الجديدة التي اهدوها الوطن العزيز . فانها وان كانت الاولى من جنسها فقد كادت تبلغ الكمال بما ضمَّنوهُ تقويمهم من المعلومات عن الحركة الكاثوليكيَّة في هذه البلاد فتجد هناك طُرفاً شتى عن الطوائف المختلفة عن نظامها واعمالها المجيدة وعن الرسالات اللاتينيَّة واصلها وتاريخها ومشروعاتها العامرة مع ما هناك من المتفرقات النثريّة والشعريّة التي يستحبها القرَّاء بقلم الكتبة الوطنيين وكهنتنا الافاضل كالخوري دميان رميا والخوري بطرس رفائيل مع تصاوير محكمة الصُنع متصدّرة بصورتي القديس لويس ملك فرنسة والقديسة جان درك . وبودنا ان يتجدد سنوياً هذا التقويم المفيد مع اصلاح بعض ما وقع فيهِ من الاغلاط الطبعيَّة والتاريخيَّة فمن الطبيعيَّات (ص ١٥٩) maîrre-Hôtel بدلاً من maître-Autel ومن التاريخيَّات ما جاء عن اليسوعيين في سوريَّة (ص ١٤٣) انهم بعد الغاء رهبانيَّتهم دخلوا في جمعيَّة الآباء اللعازريين ولا سَنَدَ لهذا القول . وكذلك امتزجت اخبار الموارنة (ص١٩٥) في القرن الرابع والسابع وذُكر فيها ساويرس كامبراطور وهو البطريرك الاراتيكي الشهير ل . ش

Le Père Pierre Raphaël : LE CÈDRE DU LIBAN DANS L'HISTOIRE. Beyrouth, in-12, 1924, VI-262

الارز اللبناني في التاريخ

لو لم يكن للارز فخرٌ آخر غير ما ورد من ذكرهِ وتفخيمهِ في الاسفار المقدَّسة لكفاهُ مجداً بيد انَّ لهُ من المفاخر ما نطقت بهِ اقدم الآثار البابليَّة والهيروغليفيَّة والثبتهُ اوثق تواريخ الشعوب تباعاً الى عهدنا . فيهذا اجمعهُ حضرة مؤلف هذا الكتاب ليظهر فضل ذلك الشجر العادي الذي صبر منهُ الى يومنا شهود ثقات تصرح بأدوار

جليلة لمبتهُ اسلافهُ في عالم الصناعة والتجارة والفنون الجميلة. فنحيل القرّاء الى مطالعة تلك الآثار في هذا المجموع المستوفي الّا في بعض فلتات (ص ١٦٣–١٦٧) التي يجب تطبيقها على تاريخ صحيح

Romain Rolland : MAHATMA GANDHI. 1 vol., Paris, 1924, Delamain, Boutelleau et Cie, Prix 6 fr, 75

مهاتما غندي الهندي

قد قام في الهند منذ بضع سنين رجلٌ ذو حزم وعزم اسمهُ مهاتما غنـدي يدعو الملايين من مواطنيهِ الهنود الى طلب الاستقلال من الحكم البريطاني . وهذا قـد تأدَّب بالآداب الاوربيَّة ويتوسَّل لغايتهِ بالوسائل الشرعيَّة نافرًا من الثورة والفتن . وها هو يرى الهنود رهينة امرهِ في انحاء تلك البلاد القاصية يتطاولون اليهِ بالاعناق . والانكليز قد ألقوهُ في السجن الَّا انَّ سجنـهُ زاد البـلاد تحمُّساً ولا بُدَّ أن تأتي دعوتهُ بثمرة. ومن أراد ان يقف على اخبار هذا الرجل الفريد فما لـهُ الَّا ان يطالع الكتاب الذي وضعهُ رومان رولان الكـاتب الفرنـويّ الشهير فانَّهُ من امتع مـا كُتب في هذا الشأن

Jean Lescure : Les Crises générales et périodiques de surproduction, 3e *éd.* 1 *vol.* 8°, *Paris, Recueil Sirey*, 1923, *Prix* 30 *fr*

الازمات العموميَّة المسبَّبة عن زيادة الانتاج

انَّ الازمات المتواترة والاعتصابات العديدة التي تجري في زماننا استدعت صاحب هذا الكتاب للتفتيش عن اسبابها وطريقة علاجها فوجد ذلـك مسبَّباً عن التوفُّر في انتاج المحصولات التي يتزاحم العموم في اقتنائها في اوَّل عهدها فينال اصحابُهـا من الارباح ما يتجاوز الحدود وبمـا انَّ لكل جبل وادياً يأتي يومٌ تقلّ قيمة تلـك المحصولات فبسبب سقوطها تلك الازمات الهائلة التي تُقلق الدول . فالدواء لهـذه التقلُّبات ان تتوازن الحالتان بحكمة ذوي الانتاج واعتدالهم ومراقبة ارباب الدول لئلَّا يحدث ذاك الانقلاب الفجائي الذي هو معلل تلك الازمات. وهذا الكتاب يهمُّ درسهُ كلَّ الدارسين للمسائل الاقتصاديَّة لاسيَّما في ايامنا حيث اصبح الاقتصـاد محوَر الدول وحياة اهلها المادّيَّة

ل . ش

La Politesse française : Principes de la bonne éducation par un groupe de personnalités du monde. 1 *vol. in*-12, s. d., *Tours, Maison Alfred Mame et Fils*

الادب الفرنساوي

يراد بالادب هنا حسن تصرّف المرء في عيشهِ الفرديّ ومعاملاته مع اهل بيتهِ واقاربهِ واهل وطنهِ والاجانب بموجب قوانين اللياقة والكياسة المرعيّة في البيوتات الشريفة. وعند القوم المتهذّبين على اصول المدنيّة الصحيحة. وقد عُرف الفرنسويون في كلّ ادوار تاريخهم بمثل هذا الادب حتى ضُرب بهم المثل في ذلك. وهذا الكتاب الذي وضعتهُ جماعة من ادباء الفرنسويين يضمّ في صفحاته كلّ ما يدخل في هذا الباب من الشمائل الطيّبة والعادات المستحبّة في كلّ احوال الانسان الاجتماعيّة وهو يفيد كلّ من ينوي ان يحذو حذو الراقين من آل فرنسة

Fonck (René) : L'Aviation et la sécurité française. 1 *vol. in*-16, 1924, *Paris, Editions Bossard, Prix* 7 *f*s, 50

الطيران وامان فرنسة

المسيو فونك كان في زمن الحرب الكونيّة في فرقة الطيّارين نال بمركبتهِ الهوائيّة فوزًا باهرًا وهو اليوم قد اصبح من مندوبي دولتهِ فلم ينسَ ما للطيران في الزمن الحاضر وفي المستقبل من الشأن المعظم بل يرى ان فرنسة لا يمكنها الاخلاد الى الطمأنينة الّا بتوسيع دائرة الطيران وذلك ما دفعهُ الى تأليف هذا الكتاب لكي يُلفت انظار دولتهِ الى هذه المسألة الحيويّة فيدلّ على الخلل الذي لا بُدّ من اصلاحهِ ويطلب ان تُقام وزارة خاصّة بالطيران كما في انكلترة حيث دعوها وزارة الهواء (air Ministry) فعسى ان يحظى الكاتب بمرغوبهِ ويبعد بهِ خطر حرب جديدة ج. ل

صديقة ومحامية

تأليف الخوري بطرس غالب

بيروت المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٤ (ص ٤٠٣)

ندعو كل المنصفين من اللبنانيين بل من كافّة السوريين الى مطالعة هذا الكتاب

ليحكموا الحكم العدل في حبّ فرنسة لهذه البلاد وبذلها النفس والنفيس للمحاماة عن ابنائها النصارى عموماً والموارنة خصوصاً . فانَّ الآثار التي نشرهـا حضرة المؤلف قد انتقاهـا من اوثق التواريخ ولاسيَّما من مخطوطات مكتبة باريس وسجلّات رهبانيَّتنا وكلّها لكتبة معاصرين لا شبهة في صدقهم فجاء الكتاب سفراً جليلاً يجب على كلّ وطنيّ ان يدرس مضامينهُ ويحرز فوائدهُ ويعرف نعمة الله اليهِ اذ جعل الانتداب على سوريّة في عهد فرنسة الصديقة الامينة والحامية الباسلة ل . ش

معاوية ابن ابي سفيان

تأليف انيس زكرت الصولي

طُبع في مطبعة وزنكوغراف طبّارة في دمشق ١٩٢٤ (ص ١٠٩)

لا يتّفق الكتبةُ المسلمون في حكمهم على الخليفة معاوية فمنهم من يترضَّاهُ ومنهم من يلعنهُ . ومن ثمَّ تيمّنّا بهذا الكتاب وقد أعلن فيهِ مؤلفهُ إعجابَهُ بمعاوية الخليفة الكبير فصدَّق على كلّ آرائنا فيهِ في كتابنا (Moawiah) فتجرَّد عن الاوهام الشائعة في ملّتهِ ورجع معنا الى المصادر الموثوق بها فلا يسعنا الّا ان نهنّئهُ بنزاهتهِ . على أنّنا لا نوافقهُ في قولهِ عن معاوية انهُ كان حاكماً للعراق (ص ٥) . والجزيرة التي ذكرها قريباً من القسطنطينيَّة (ص ٦٣) هي شبه جزيرة «ارداد» لا «ارواد» كما صحَّفها كثيرون الاب هنري لامنس

الروايات الثلث : الامير المغتصب . بركليس . التوأمان المتشابهان

عرَّبها عن الانكليزيَّة شكري افندي داغر

طبع في المطبعة الادبيَّة سنة ١٩٢٣ (ص ٦٨)

أحسن معرّب هذه الروايات انتخابها فكساها ثوباً قشيباً وحاد عمّا يجعلها عثرة في سبيل الناشئة فيتفكَّه بها القرَّاء دون ان يندى جبينهم من سوء آدابها . والاولى منها للكاتب شكسبير الانكليزي الشهير .

يوميّة المسيحي

عُني بنشرهِ احد كهنة الارمن الكاثوليك في حلب

طُبع في المطبعة المارونيَّة في حلب سنة ١٩٢٣ (ص ١٢٩ + ٦٤)

كتاب صغير الحجم لطيف الصورة حسن التجليد جميل الطبع نهنّئ صاحبهُ على

وضعهِ وقد ضمَّنهُ معظم ما يحتاجهُ المسيحي ولاسيما ابن طائفتهِ الارمنيَّة من الفرائض الدينيَّة وهو يفيد خصوصاً المشتركين في الشهباء باخويَّة قلب مريم الطاهر وقد خصَّ قسماً كبيراً منهُ لتلك الصلوات منقولةً الى اللغة الفرنسويَّة للذين اعتادوا فيها الصلاة. فنوصي بهذا الكتاب كل محبي الطقوس الشرقيَّة ونتمنَّى وضع مثلهِ في كلّ الطوائف. وهناك بعض صلوات ارمنيَّة بحرف لاتيني لا بأس من طبعها بالحرف الارمني فتزيّن الكتاب بازاء شرحها. ثمَّ نلفت نظر المؤلف الى الصلاة التي تقال امام المصلوب (ص ٧٤) فانَّ آخرها قد اصلحهُ المجمع المقدَّس كما اوردهُ في الترجمة الفرنسويَّة (ص ٥٦)

العصبيَّة عند العرب

تأليف علي مظهر

طُبع في مصر في مطبعة مصر سنة ١٣٤٢-١٩٢٤

هذا الكتاب عرَّبهُ صاحبهُ عن تأليف الماني قدَّمهُ لجامعة ڤينَّا في العام الماضي ونال بهِ «الاجازة العلميَّة». وقد خصَّهُ في البحث عن العصبيَّة عند العرب وهي المزيَّة التي طُبعوا عليها في عيشتهم البدويَّة للدفاع عن استقلالهم وهي تعود الى المثل العربي «انصر اخاك ظالماً او مظلوماً» فتتبَّع احوال العرب في الجاهليَّة والاسلام الى اواخر الدولة الامويَّة وبيَّن احوال تلك العصبيَّة واصلها وخواصّها ومواقعها. وقد لحظنا في الكتاب شيئاً من الالتباس في تحديد موضوعهِ وحصرهِ في نطاق معلوم وربَّما خرج عن دائرتهِ لذكر ما لا علاقة فيهِ مع العصبيَّة

عُمَر وجميلة او في رُبى لبنان

تأليف هنري بوردو وتعريب اسعد داغر

عُني بنشرهِ يوسف توما البستاني في مطبعة العرب (ص ١٨٧)

هو الكتاب الذي ذكرناهُ في المشرق في العام الماضي (ص ٥٠٤) وفيهِ من التخيُّلات ما يصدق في اهل لبنان وآدابهم فاستخرجهُ الى العربيَّة اسعد افندي خليل داغر وكساهُ بقلمهِ حُلَّة شائقة وقد راعى فيهِ ذوق الشرقيين اكثر منهُ امانة التعريب ثمَّ انَّ صاحبهُ لم يجرِ دائماً بموجب ما اودعهُ في تذكرة الكاتب فيقول مثلاً في الصفحة ٦

«قد ربيتُ في بلاد اعتدتُ فيها على رؤية الجبال حولي» مع كونهِ نظم «اعتاد على الشيء» في جملة اغلاط التذكرة (ع ١٠٠) . وكتب «وطأتُ الارض» وهو وطئ بهذا المعنى . ويستشفّ من وراء تعريبهِ شيءٌ من التعبير الاجنبي ل . ش

شذرات

﴿قانون المطبوعات ومعاقبة سارقيها﴾ يهتمُّ مجلسنا النيابي مع الحكومة المنتدبة بوضع قانون جديد للمطبوعات والصحافة وهو نِعْم الاهتمام لئلّا يتجاوز اصحابُها حدود الآداب العموميَّة . وهناك امرٌ لا بُدَّ من الانتباه اليهِ سرقة المطبوعات ونَشرها سواء اختلسها بعض المتلصّصين فنسبها الى نفسهِ ام حاول طبعها دون استئذان صاحبها المحتفظ على حقوقها . فهذا صاحب المكتبة الجامعة في البلدة قد استلب عشرًا من مطبوعاتنا وادَّعاها لنفسهِ كما نقدر ان نثبت ذلك بالادلّة الواضحة . فلا بُدَّ أن تستدرك النيابة والحكومة هذا الخلل وتسنَّ في قانونها بندًا خاصًا بمحاكمة اصحاب هذه السرقات كما هو شائع في كلِّ البلاد المتمدّنة وتجازيهم بموجبهِ فانَّ السرقات الادبيَّة افظع واقبح من السرقات المادّيَّة

﴿المملكة المنقسمة على ذاتها﴾ بلغنا صدى المنازعات القائمة بين محافل الماسونيَّة واعضائها في البلد . فلا عجب اذ لا يجمع الفرمسون كلمتهم الّا في معاداة الدين والسلطة الشرعيَّة . وفي ما خلا ذلك لا يسعون الّا الى ترويج مصالحهم — وما زادهُ من الخاصات في ماسونيَّة بيروت قد قسم منذ عدَّة سنين المحافلَ المصريَّة حتى برزت الى العموم واتّصلت بالمحاكم ولا يزال الخلاف سائدًا بين الرئيس الاعظم ادريس بك راغب واخوتهِ حتى ان الماسونيَّة سقطت في اعين الجمهور بعد ان كان يصونها التستّر وراء جدران محافلها . وبها يصحّ قول الرب «انَّ المملكة المنقسمة على حالها تخرب»

﴿مكتشفات جديدة من اعمال القديس افرام﴾ انَّ عددًا عديدًا من تآليف القديس افرام ملفان الكنيسة الكاثوليكيَّة مع كثرة ما نُشر منها بالسريانيَّة واليونانيَّة واللاتينيَّة لا يزال مفقودًا . على انَّ الاثريين لم ييأسوا من استخراج بعضها من زوايا النسيان ومن دفائن المكاتب . فمن ذلك ما وقف عليه آخرًا الآباء

المكيتاريون الارمن في مكتبتهم في البندقيّة فانهم وجدوا بين مخطوطاتهم الارمنيّة شروح القديس افرام على اعمال الرسل للقديس لوقا . وقد ثبت لهم ذلك ببعض المقاطيع التي رواها من ذلك السفر الكتبة الذين اتوا بعده وصرّحوا انها له وجدها المكيتاريون في نسختهم الخطيّة فاسرع احدهم الاب اكينيان فنشرها . وينتظر من درسها فوائد جمّة لفكّ بعض المشاكل المختصة بذلك السفر (ZFKT. 1924, 37-58)

﴿فكّ اسرار اللغة الحثيّة﴾ قد اوشك ان يتحقّق في قراءة الكتابات الحثيّة قول الانجيل الطاهر « اطلبوا تجدوا اقرعوا يُفتح لكم » فان المستشرقين منذ ثلثين سنة لم يدعوا باباً الّا طرقوهُ . والظاهر انّ البعض منهم قد اصابوا الهدف لاسيّما المسيو هروزني (M. F. Hrozny) الذي نشر ترجمة الدستور الحثّي الذي وجدهُ الالمان في بوغاز كوي مكتوباً بالحروف الحثيّة والمسماريّة فجاءت ترجمتهُ متناسقة المعاني تدلّ على بلوغهِ المرمى . وما يزيد العلماء اقتناعاً انّ احد الالمان المسمّى تسيمرن (M. H. Zimmern) شرح ذلك الدستور شرحاً موافقاً لشرح السيد هروزني دون ان يتفقا على ذلك . وممّا ثبت لهما انّ اللغة الحثيّة تتفرّع من اللغات الهند وجرمانيّة

﴿فكاهات العرفان﴾ تفكّهت العرفان (ص ٣٦١) بحقّ الالمان بقولها انّ اسمهم ورد في القرآن في سورة «الم» وانما السانور الانكليزي بلّع الحرفين الآخرين — ومن فكاهاتها غير اللائقة ما كتبتهُ (ص ٣٦٠) عن القاضي والملائكة — ومن غرائبها قولها (ص ٣٧٦) « هل علمتَ انهُ كان في رومة عشرة آلاف دير للرجال والنساء » وهي من جملة الخرافات العديدة التي وردت في كتب العرب بوصف رومية — وانما استحسنّا مقالة العرفان في المبارزة (ص ٣٧٧—٣٨٢) فانها من افضل ما كُتب في العربيّة من هذا القبيل

﴿داود الطبيب الانطاكي وداود الطبيب النصراني﴾ كتب لنا نعوم افندي جرجس طاماز من مصر انّ داود الطبيب النصراني المذكور في اصداء الشرق (ع ١٣١ ص ٣١٠) هو غير داود الانطاكي الذي ذكرنا في المشرق (ص ٨٠) اسلامهُ . ولعلّ في قول الكاتب صدقاً فنرجو من واصف مخطوط « داود الطبيب النصراني » ان يأتينا بزيادة فائدة عنهُ

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد من حلب : متى ولأي سبب وُضعت الصلوات التي تقال في آخر القداس اي ثلث مرات السلام الملائكي مع «السلام عليكِ يا ملكة الرحمة» والصلاتين الى الله وقديسيه ورئيس الملئكة مار ميخائيل مع النافذة الى قلب يسوع ؟

الصلاة التي تُتلى في آخر القداس

ج وضع هذه الصلوات الحبر الاعظم لاون الثالث عشر سنة ١٨٨٤ استعطافاً لرحمة الله على الكنيسة في ضيقاتها وتقسيماً على الارواح النجسة . وقد خصّ بالذكر الملاك ميخائيل لانهُ محامٍ خاصّ لبيعة الله . واما النوافذ الثلث لقلب يسوع الاقدس فقد امر الحبر الاعظم بيوس العاشر باضافتها سنة ١٩٠٦ . ويربح تالي هذه الصلوات ٣٠٠ يوم من الغفران

س وسأل الاديب نعوم جرجي طاماز أطُبع كتاب التاريخ من عهد قسطنطين الى زمن السلطان مراد الذي عرّبهُ البطريرك مكاريوس بن زعيم والذي ذُكر في المشرق (١٩٢٣ ص ٢١ و٢٢) وهل الاصل الرومي مطبوع؟

التاريخ المعرَّب من البطريرك مكاريوس

ج هذا الكتاب لا يزال مخطوطاً وانّما اصلهُ الروميّ طُبع في البندقيّة

س وسأل من ابيركة سليم افندي رزق هل من أمل لرجوع اخوتنا المنفصلين الى حجر الكنيسة الكاثوليكيّة ؟

رجوع المنفصلين الى الكنيسة الكاثوليكيّة

ج نعم أملنا وطيد في ذلك لانّ الامم الشرقيّة المنفصلة تشعر حاضراً بحاجتها الى الاتحاد مع غيرها من الكنائس فتميل تارةً الى الانكليكانيّة وتارةً الى الشيعة الابسكوبالية . على أنها لن تزال في قلق واضطراب الى ان تعود الى مركز الوحدة كما كانت سابقاً ولن يفصلها عنهُ الّا امور قليلة هي من السوء الفهم اقرب منها الى الخلاف ولنا في قبولها الحساب الغربي موخّراً ضمين على قبولها ايضاً بقيّة القضايا التي يشهد عليها آباء الكنيسة اليونانيّة وكتب الروم الطقسيّة ل. ش